الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٤ - ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 354 - Jan. 2006

- المافيا: تقاليد وثورة
- وادي حنيفة: الحياة مجدداً
- روزا باركس: الخياطة التي غيرت الحياة في أمريكا!




اختر رفاهيتك المنزلية
من وجبات مميزة إلى وسائل ترفيهية سمعية ومرئية في كنف ضيافة عربية أصيلة
نقدمها لك على مقاعد وثيرة ... لن تشعر بالفرق بين خدمتنا على أسطولنا الحديث وبين رفاهيتك المنزلية.
عالم جديد من الاختيارات
SAUDI ARABIAN AIRLINES
الخطوط الجوية العربية السعودية
www.saudiairlines.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٤ . ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 354 -JAN.2006



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

  الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

  يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

  يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

  التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

  تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

  ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠, ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٢٣٩١٠٩٥ . فاكس ٢٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢..، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE
هاتف: ٤٨٧٣٧٣٧ - فاكس: ٤٨٧٣٥٥٩

الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
Alwatania Distribution



المافيا: تقاليد وثورة

أول مرة ظهرت فيها كلمة المافيا كانت في باليرمو ضمن وثيقة تعود إلى عام ١٦٥٨م؛ وذلك في مذكرة رسمية احتوت على قائمة بأسماء بعض المهرطقين، حيث أطلق لقب مافيا على مشعوذة اسمها كاتارينا لا ليكاستيا من أجل توضيح الظمأ إلى السلطة والعجرفة اللذين نسبا إلى سلوك تلك المرأة.

وقد تحولت كلمة مافيا إلى مصطلح له مدلولاته، فما التحولات التي شهدتها المافيا منذ بروزها على سطح الحياة؟

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



رسائلكم

شموع الأمل لفرح مؤجل

الإنسان منا في حياته يمر بمراحل ومواقف وذكريات تنيره، وتظل، بصرف النظر عن حلاوتها ومرارتها، تجارب ومحطات تمثل زادًا وشمعة وشعلة تضيء لنا طريقنا في مشوارنا في الحياة وللحياة.

ومهما كانت قسوة الظروف التي نعيشها سعيًا وراء الرزق فلا بد لنا من لحظات مع أنفسنا للتلاقي، للتصافي، للتفاكر، للمصارحة، وللترفع عن كل ما يسيء إلى إنسانيتنا، وعقد صلح والدخول في حوار جاد وهادف بدءًا بأنفسنا، دفاعًا عن حقنا في الحياة.

إنني، إذ أعرب لكم عن اعتزازي بهذه المجلة، التي ظلت دومًا منهلاً للعلم والثقافة الرفيعين، أسأل الله أن يديم عليكم هذا الحرص على خدمة الثقافة العربية الأصيلة، ويوفقكم إلى ما يحب ويرضى.

إبراهيم محمد إبراهيم أرصد

الرياض ـ السعودية

التحرير:

نشكر لك هذ الخاطرة، ودعوتك إلى الأمل، ونحن في انتظار مشاركاتك التي وعدت بها لتأخذ طريقها إلى النشر.

إصدارات "الفيصل العلمية"

تفضلت هيئة تحرير «الفيصل» الأم السعيدة الذائعة الصيت، بتهيئة الرقم البريدي، وعنوان الفيصل العلمية. وبما أنني لم أجد ـ حتى الآن ـ أحد أعداد المجلة، لتعرف المواد المنشورة، وسياسة النشر؛ بهدف التواصل مع أساتذتنا بالمملكة العربية السعودية..

لذلك ألتمس امتداد يد اللطف بموافتنا بأحدث إصدارات «الفيصل العلمية». وواضح أن المجلة متميزة من خلال موجز الإشارة الوارد بمجلة الفيصل «الأم».

نحن هنا في مصر نثمن جهود أساتذتنا من خلال العقود الحالية بفضل نوعية الإصدارات الجيدة الناطقة بكل جديد في العلم والتقنية والتكنولوجيا، وأنتهز هذه الفرصة لأعرب لسيادتكم عن خالص الشكر والتقدير. على عجل بالغ أنتظر أحد الأعداد كي أجري المناظرة والتنظير عن إمكانية التواصل مع أساتذتي بالمملكة.

الدكتور رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

الزقازيق ـ مصر

التحرير:

نشكر لك تواصلك الدائم مع المجلة، وحرصك على المشاركة، وهي ـ كما أشرت ـ مجلة دورية متنوعة تهتم بالمقالات العلمية التي تبسط العلوم للقارئ الكريم من خلال كتّاب مختصين، وتخضع المقالات للمراجعة والتحكيم من قبل لجنة تضم مجموعة من الأساتذة في التخصصات المختلفة. وسوف يصل إليك ما طلبت، نكرر لك شكرنا على اهتمامك.

ونشير إلى أن هناك مجلة باسم «الفيصل الأدبية» تهتم بالدراسات الأدبية والنقد والإبداعات الشعرية

والقصصية، ويشارك فيها مجموعة من الأكاديميين والنقاد والمبدعين من كتاب الشعر والقصة، وهي دورية.

وعنوان الفيصل العلمية هو عنوان دار الفيصل الثقافية نفسه.

كيوغين وليس كيوعين

ورد خطأ طباعي غير مقصود في أسئلة مسابقة العدد (٣٥٢)، حيث كان السؤال الثالث على النحو الآتي:

كيوعين .. أحد فنون اليابان ماذا يعني؟

ولا يفوت على القارئ الكريم أن المقصود كيوغين وليس كيوعين، والكيوغين Kyogen يكتبه بعض الإخوة العرب كيوجين وهو - كما جاء في المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية للدكتور ثروت عكاشة - لون من المسرحيات الهزلية ظهر بوصفه فاصلاً متميزًا يقدم بين مسرحيات نو Noh وإن التحمت منابعه وتطوراته مع منابع وتطورات مسرح نو. وترجع عادة إقحام المسرحية الهزلية كفاصل بين مسرحيتين من مسرحيات نو إلى نشأة هذا المسرح منذ نحو ستمئة عام. ومسرحية كيوغين هي مسرحية هزلية إيمائية، هدفها الأول استدرار الضحك. غير أن هذا الضحك تراوح درجاته بين إثارة البهجة المتزنة أو إشاعة مرح عاصف بالملح والنوادر والتوافقات اللفظية التي تعتمد على سرعة البديهة.

التحرير:

نشكر للأخ الشيخ أحمد محمد الإبراهيم الذي جاءنا تعليقه بعد أن أعددنا هذا التنويه، وقد بذل جهدًا كبيرًا بسؤال السفارة اليابانية في دمشق وتلقى ردًا منها، وهو يعيب على هذا الخطأ، وخاصة، كما يقول: لا يوجد في اللغة اليابانية وغيرها من اللغات الأجنبية حرف العين. وتمت مراعاة ذلك عند النظر في إجابات الإخوة القراء.

ردود سريعة

الأخ معتز الترابي ـ الرياض ـ السعودية:

نشكر لك إطراءك، واستحسانك الاستطلاع الخاص عن أم درمان المنشور في العدد الماضي، ويبدو أنك لم تتابع ما نشر عن السودان وتاريخه وأقاليمه وقبائله من قبل، وإذا أردت عناوين الموضوعات المنشورة يمكنك الحصول على قائمة بها من خلال مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بل إنك تستطيع الحصول على قائمة بما نشر عن السودان في مجلات أخرى كثيرة أو حتى الكتب والموضوعات التي تناولت السودان، وللاستفسار تستطيع الاتصال على الهاتف ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٥٥١، وسوف تجد إجابات وافية عن استفساراتك.

الأخت سماح إبراهيم الصادق ـ القاهرة ـ مصر:

توزع المجلة في مصر، ولم تنقطع قط، وتصل إلينا رسائل ومشاركات من مختلف مدن مصر، مما يعكس المتابعة لما ينشر، وننصحك بالاشتراك للحصول دوريًا على المجلة من غير عناء.

الأخ أبو يزيد المعلوفي: الدار البيضاء ـ المغرب

ترحب المجلة بأي مشاركة من القراء الكرام، وهي تأخذ طريقها إلى النشر إذا تمت إجازتها وفق ضوابط ومعايير يعرفها الإخوة المتابعون. ولا تقبل المجلة المادة إذا كان قد سبق نشرها بأي صورة من الصور، ويفضل إرفاق الصور المعبرة في CD، أو تكون صورًا ورقية ذات جودة عالية.

كما أن حفظ المادة في القرص المرن من شأنه أن يؤدي إلى قلة الأخطاء، وعدم التصحيف الذي قد يقع بسبب عدم وضوح خط اليد، أو خطوط الطباعة.

وادي حنيفة: الحياة مجددا

قسم التحرير

وادي حنيفة أهم معلم طبيعي في مدينة الرياض، ويمتد على أرض مساحتها تزيد على ١٢٠ كيلو مترًا مربعاً مخترقاً المدينة، وينحدر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويراوح عرضه بين أقل من ١٠٠ متر وما يقارب ١٠٠٠ متر، ويصب في هذا الوادي أكثر من ٤٠ رافداً، ومن أهمها وادي البطحاء الذي يقع عليه الآن أشهر وأقدم شارع تجاري في العاصمة. ويبلغ طول هذا الوادي نحو ٢٥ كم، ويبدأ من شمال المدينة متجها نحو الجنوب؛ ليلتقي بوادي حنيفة، أما وادي الأيسن الذي يبلغ طوله نحو ٣٥ كم فيجري موازاة وادي البطحاء حتى التقائه وادي حنيفة من جهة الغرب والجنوب الغربي.

وكون الرياض على مقربة من عدد من الأودية التي تستقبل مياه الأمطار والسيول أتاح لها تربة غنية بالمياه الجوفية، جعلها تصبح اسما على مسمى، وقد وصفها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) باسم خضراء حجر التي كانت حاضرة لمنطقة اليمامة التي ورد ذكرها كثيرًا في أشعار الأقدمين ورواياتهم.



ويحتوي الوادي على معظم ما تبقى من مظاهر البيئة التقليدية في المنطقة، والمتمثلة في القرى والبساتين والمزارع المنتشرة فيه.

ويزخر الوادي كذلك بكثير من المقومات الزراعية والتراثية والترويحية التي تتيح له أن يكون مصدرًا ترويحيًا وزراعيًا وتثقيفيًا لسكان المدينة.

مخطط إستراتيجي

وقد أعدت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض منذ عام ١٤٠٧هـ مخططًا شاملاً لتطوير وادي حنيفة، وتنميته للمحافظة على بيئته الطبيعية، ومنع الأنشطة البشرية المخلة به، وتهيئته للقيام بوظيفته مصرفًا طبيعيًا للمياه، والإفادة منه ليكون منطقة ترويحية، مع الاهتمام بالنشاط الزراعي، والمحافظة على الرصيد التراثي.

وعدت الهيئة العليا الوادي منطقة محمية بيئياً، ومنطقة تطوير خاضعة لإشرافها، فأجرت دراسات شملت مصادر المياه، والتربة، والحياة الفطرية، وملكيات الأراضي، واستعمالاتها، والمزارع القائمة في



جانب من بحيرات الحائر

الوادي، والمقومات التراثية، والترويحية، وحركة المرور، وتلوث الهواء، والمياه، والحياة الفطرية المائية، وتمخضت هذه الدراسات عن وضع إستراتيجية شاملة لتطوير الوادي، أقرتها الهيئة العليا في عام ١٤١٥هـ، حيث تركزت هذه الإستراتيجية في عدد من السياسات والتنظيمات والإجراءات والأعمال لتحقيق الأهداف.

وهدفت إستراتيجية تطوير وادي حنيفة إلى وقف التدهور البيئي للوادي، والعمل على المحافظة على موارده وتنميتها، ووضع مخطط تنظيمي لاستعمالات الأراضي في الوادي، وتوفير مرافق ترويحية، واستكمال البنية الأساسية في منطقة الوادي لتشجيع المشروعات التطويرية فيها. وقد تم، بتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - تشكيل كثير من اللجان لدراسة الأنشطة

يحتوي وادي حنيفة على معظم ما تبقى من مظاهر البيئة التقليدية في المنطقة، والمتمثلة في القرى والبساتين والمزارع المنتشرة فيه. ويزخر بكثير من المقومات الزراعية والتراثية والترويحية التي تتيح له أن يكون مصدرًا ترويحيًا وزراعيًا وتثقيفيًا لسكان المدينة



منظر طبيعي بديع

المخلة ببيئة الوادي، واقتراح الحلول المناسبة، وأنجزت اللجان مهامها بنجاح.

وفي عام ١٤١٩هـ، أقرت الهيئة تشكيل لجنة منبثقة منها لإعداد مشروع موحد لتطوير الوادي، وتحديد جدول زمني ومالي لمراحل التطوير، يشتمل على عدد من الدراسات والإجراءات والمشروعات التنفيذية.

وهذا المشروع الإستراتيجي يستوعب جميع مقومات الوادي، ويعالج الإشكال المائي، ويحقق مبدأ الاستدامة في إدارة موارد المياه، وتحسين نوعيتها، ومن الإجراءات المحققة لذلك: المعالجة الحيوية، وتحسين تدفق المياه، وتوظيفها بشكل فعال في سد احتياجات المدينة، والوادي من المياه المعالجة.

ويهدف مشروع التأهيل إلى إعادة الوادي إلى وضعه البيئي الطبيعي، وتهيئته لاستيعاب مشروعات التطوير، وذلك وفق ضوابط المخطط الشامل.

ومما يتضمنه المخطط إعادة بيئة الوادي العامة إلى وضعها الأصلي، لتكون مصرفًا طبيعيًا للمياه، ومحضنًا لأنماط متنوعة من الحياة الفطرية، تخلو من الملوثات، وقدرات تعويضية طبيعية.

ويتم تحقيق ذلك من خلال: إزالة الأضرار والنفايات، ومخلفات البناء، وإزالة مسببات التدهور البيئي، كتغير مناسيب الوادي، وعدم كفاءة قنوات تصريف المياه، وحماية المناطق البيئية الحساسة. وقد تم عرض المخطط الرئيس العام للوادي من قبل الهيئة على ممثلين من الأجهزة الحكومية، التي لها علاقة بوادي حنيفة. وتشتمل خطة التطوير الشاملة للوادي على عدد من العناصر.

أعدت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض منذ عام ١٤٠٧هـ مخططًا شاملاً لتطوير وادي حنيفة، وتنميته للمحافظة على بيئته الطبيعية، ومنع الأنشطة البشرية المخلة به، وتهيئته للقيام بوظيفته مصرفًا طبيعيًا للمياه، والإفادة منه ليكون منطقة ترويحية

متنزه طبيعي

يشمل المخطط تطوير جزء رئيس من بطن الوادي ليكون متنزهًا طبيعيًا، ومضمارًا ترويحيًا تثقيفيًا، وذلك لإتاحة الفرصة للتجمعات السكانية على طول الوادي، وسكان مدينة الرياض، وزوار المنطقة



لقطة جوية لوادي حنيفة

للاستمتاع بإمكانات الوادي قبل بدء مشروعات التطوير، والاستفادة من إمكانات هذه الثروة الرائعة، ليسهم ذلك في تطوير الرؤية المستقبلية حول النمط الأفضل من المناطق المفتوحة التي تستقطب الزوار، وتلائم الوادي.

ومن أبرز ملامح الخطة إقامة محميات بيئية، ومناطق زراعية، ومرافق ترويحية وترفيهية جديدة، تطويرًا للسياحة والسياحة البيئية، بالإضافة إلى المناطق السكنية والزراعية والقرى القائمة حالياً. ووفقًا للخطة يحظر قيام الأنشطة الضارة أو غير المتوافقة بيئيًا مثل الكسارات، ونقل التربة، والصناعة الثقيلة.

ولالتزام المعايير التي أقرتها الخطة، تم تحديد إطار جغرافي خارجي لمنطقة وادي حنيفة البيئية، تطبق فيه سياسات خاصة للتخطيط والاستعمال، على أن تكون هناك هيئة خاصة للاعتناء بالوادي، والإشراف على تطبيق برامج إعادة التأهيل، ومشروعات التطوير داخل حدوده.

هذا المشروع الإستراتيجي يستوعب جميع مقومات الوادي. ويعالج الإشكال المائي. ويحقق مبدأ الاستدامة في إدارة موارد المياه. وتحسين نوعيتها. ومن الإجراءات المحققة لذلك: المعالجة الحيوية. وتحسين تدفق المياه. وتوظيفها بشكل فعال في سد احتياجات المدينة



ويشكل المخطط العام الرئيس لوادي حنيفة تجسيداً لرؤية تعد الوادي واحة نظيفة خضراء، وبيئة آمنة لها قابلية الاستدامة، ويهدف إلى وضع إطار لإعادة تأهيل الوادي، والمحافظة عليه وتطويره، والتوعية بأهميته.

وتبلغ المساحة التي تغطيها خطة استعمال الأراضي في منطقة وادي حنيفة وروافده ٤٥٠٠ كم٢، وتحدد كل استعمالات الأراضي في أرجاء الوادي كافة.

خطة إدارة مصادر المياه

تهدف خطة إدارة مصادر المياه إلى استعادة أداء الوادي في التحكم في الفيضانات، وتحسين نوعية المياه السطحية، وتوفير الحاجات المستقبلية من المياه المعاد استخدامها.

وتهدف الخطة بشكل خاص إلى تحقيق ما يأتي:

- تحسين أداء الوادي في عملية التحكم في السيول.
- تحسين نوعية المياه السطحية، وتوفير وسائل المعالجة الطبيعية.
- تحسين قنوات الصرف السطحية وإدارتها.
- إزالة الأخطار التي تهدد نوعية المياه.
- تطوير سياسات لحماية نوعية المياه، ومصادر الحصول عليها في المستقبل.
- وضع إجراءات إدارية وسياسات لحماية الوادي من التطوير غير الملائم، والتعديات على الأراضي، وتقليل مخاطر السيول.
- منع الأنشطة غير المصرح بها على الأراضي، من خلال عملية تخطيط أكثر فاعلية.
- تحديث شبكة مراقبة المياه، ووضع أسس منهجية لضمان الاستفادة القصوى من البيانات.
- تطوير نموذج بالحاسب الآلي لمصادر مياه وادي حنيفة للمساعدة في تقويم الظروف المستقبلية المحتملة، وتأثير الخيارات المختلفة للتطوير.
- توفير كميات من المياه ذات النوعية المناسبة لإعادة استعمالها.

> تشمل المرحلة الأولى لإعادة التأهيل والمحافظة على الوادي، استعادة أداء قنوات تصريف السيول، وتحسين قنوات صرف المياه السطحية، وإجراءات لمعالجة نوعية المياه، وأعمال تشجير وتنسيق، بما فيها تحسين وضع الطرق، ومرافق البنية التحتية

وتأخذ الاقتراحات التي تم وضعها لإدارة مصادر المياه في الحسبان الأوضاع المتغيرة من الطقس الجاف إلى حالة جريان السيول. كما تأخذ أيضاً في الحسبان المدى الكامل للاستعمالات والخيارات المحتملة. وسيكون بالإمكان عند تطبيقها استيعاب الزيادة المتوقعة في كميات المياه التي يتم تصريفها إلى الوادي، والحاجة المتزايدة إلى الماء المعاد استخدامه في مدينة الرياض الآخذة في التوسع.

حماية الحياة الفطرية

يعالج مخطط التصنيف البيئي أماكن الحياة الفطرية كافة في محمية وادي حنيفة والمنطقة المحيطة بها، آخذة في الحسبان كيفية عمل هذه الأماكن فيما بينها لتحسين بيئة الوادي.

ولما كان حوض وادي حنيفة يضم أعداداً من فصائل الحيوانات المتنوعة ذات الأهمية الحيوية، فقد روعي ضمن مخطط التصنيف البيئي وضع





لقطتان لحركة العمل في ميدان الجزائر

إستراتيجيات إدارية لحماية المتطلبات الحيوية لأماكن وجود تلك الفصائل، بما يضمن تجددها.

ويشجع مخطط التصنيف البيئي الاستعمالات القابلة للاستدامة، وذلك من خلال تطبيق آليات لتحسين الكفاءة والحيوية المتكاملة لنظام الوادي البيئي.

ويحرص المخطط على تحسين البيئات المائية، والبيئات المجاورة لها على ضفاف الوادي، باستخدام أسلوب المعالجة الحيوية؛ وذلك لتسهيل نشوء سلسلة غذائية أكثر تشعباً ومتانة.

ومن أولويات المخطط إنشاء قاعدة بيانات للنظام البيئي تساعد الجهاز الإداري للوادي في المستقبل على التكيف مع البيانات والمعلومات الجديدة؛ بما يمكنهم من تعديل إستراتيجيات الإدارة؛ لاستيعاب ديناميكية كامل النظام البيئي، وذلك في الوقت الذي يتواصل فيه نمو المدينة، بينما لا يزال النظام الحيوي للوادي لا يزال في طور النضج.

بيئة صحية ومتجددة

ووفقًا للمخطط البيئي، فإن من الأسس اللازمة ضمان التجدد البيئي، وصحة البيئة، ونوعية الحياة في وادي حنيفة، مع تلمس وسائل تطوير قاعدة بيانات بيئية، ووضع برامج للمراقبة، وتقويم تأثير التطوير، وتلوث الماء والهواء والتربة في البيئة.

ويأخذ التصنيف في الحسبان معالجة المياه،

من أبرز ملامح الخطة إقامة محميات بيئية، ومناطق زراعية، ومرافق ترويحية وترفيهية جديدة، تطويرًا للسياحة والسياحة البيئية، بالإضافة إلى المناطق السكنية والزراعية والقرى القائمة حالياً. ووفقًا للخطة يحظر قيام الأنشطة الضارة أو غير المتوافقة بيئياً



وترشيد وإعادة استعمال المياه، وإعادة تأهيل البيئات والتضاريس الأرضية الطبيعية، واسترداد الحياة البرية وحمايتها، وحماية أماكن وجودها بالوادي، إضافة إلى تكثيف الجهود لزيادة الوعي البيئي، وتنمية الثقافة البيئية لدى السكان.

برنامج التأهيل والمحافظة البيئية

تحوي الخطة الشاملة لرعاية وادي حنيفة وصفاً كاملاً لنطاق أعمال إعادة التأهيل، والمحافظة البيئية في وادي حنيفة لكل موقع على حدة.

وتشتمل على الأهداف الأساسية، والمقاييس الاعتبارية، والمتطلبات اللازمة لإعداد التصاميم الفنية، وكذلك جدول الأولويات.

برنامج الترفيه والمناطق المفتوحة

تتضمن الخطة رؤية للسياحة، ومن أهدافها الرئيسة إبراز مكانة وادي حنيفة، ليكون إحدى الوجهات المهمة للسياحة والاستجمام، وذلك بعد أن تبدأ عملية إعادة التأهيل البيئي للوادي.

وتصف الخطة كل مشروعات الترويح والسياحة (للقطاعين العام والخاص) التي سيتم تطويرها في الوادي، والمناطق المحيطة به.

ضوابط التطوير وإرشاداته

تحدد الخطة الشاملة جميع استعمالات الأراضي المصرح بها ضمن حدود وادي حنيفة، وجميع محددات التخطيط والتطوير، التي تنطبق على كل حالة من حالات استعمال الأراضي.

تلوث أقل واستثمار أفضل

كما يركز المخطط في تطوير المرافق العامة، والبنى التحتية، ؛ لتكون مؤهلة للظروف الخاصة بالوادي كالسيول والأمطار، ومتوافقة مع احتياجاته، محافظةً على جماليات مناظره الطبيعية، ومؤديةً لوظيفتها بكفاءة عالية.

ومن ضمن هذه المرافق شبكة من الطرق لخدمة حركة المرور المحلية، بين أجزاء الوادي، بحيث تكون معزولة عن شبكة المرور العابرة، لكون حركة المرور العابرة أحد بواعث التلوث الأساسية في الوادي.

ووفق تصاميم الطرق الجديدة ستقل الحركة العابرة للوادي؛ مما يخفض مظاهر التلوث، ويوفر بيئة هادئة نسبياً تتناسب مع طبيعة الوادي وزائريه، كما تتضمن الخدمات شبكة من ممرات المشاة، ومواقف، وممرات لخطوط الخدمات كالكهرباء، والمياه، والهاتف.

تم بشكل خاص تطوير التصاميم الهندسية لإنشاء مرافق الخدمات، والطرق، وأعمال قنوات مياه الصرف للمياه السطحية، ومياه السيول.

وقد تم توصيف هذه الأعمال في الخطة بحيث تكون جميع الأعمال المقترحة حالياً؛ أو تلك التي سيتم تطويرها مستقبلاً بالوادي متناسقة من ناحية

نال المخطط الشامل لتطوير وادي حنيفة جائزة مركز المياه بواشنطن. بوصفه أفضل خطة لتطوير مصادر المياه على مستوى العالم. وقد تسابق لنيل هذه الجائزة ٧٥ مشروعًا. وعرض هذا المخطط في المؤتمر السنوي لمركز المياه الذي عقد في مونتريال بكندا

النوعية والأداء والمظهر.

ويتم تنفيذ الخطة من قبل الجهة التي ستتولى مهمة الإشراف على وادي حنيفة، بالتعاون مع الجهات الأخرى ذات العلاقة؛ لضمان أن تكون جميع أعمال البنية التحتية، والأعمال الهندسية بالوادي منسقة فيما بينها، وتستجيب لمتطلبات الجودة، والمظهر والأداء.

ويتضمن مشروع التأهيل جوانب تسويقية لمشروعات التطوير الاستثمارية المستقبلية، فالحال التي سيكون عليها المتنزه، من سلامة البيئة، وخلوها من المظاهر السلبية، والملوثات، وكفاءة الطرق، وإزالة المعالم الطبيعية، ووجود المتنزه الطبيعي، كل هذه العناصر ستزيد من إقبال الجمهور على زيارة الوادي، وهذا الإقبال سيسهم في زيادة الوعي بتطوير الوادي، والحفاظ عليه، ويكسب الأفكار التطويرية المقترحة جدوى اقتصادية تجذب استثمارات القطاع الخاص.



بحيرات الحائر



أحد الطيور المهاجرة

المناطق الحضرية

توصف الخطة دور الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض والجهات الحكومية الأخرى ضمن الهيكل الإداري الحالي لمدينة الرياض.

ومن ثم تستعرض بالتفصيل البدائل الممكنة لتحديد المسؤوليات، وإدارة وادي حنيفة، وتقدم في

من أولويات الخطط إنشاء قاعدة بيانات للنظام البيئي تساعد الجهاز الإداري للوادي في المستقبل على التكيف مع البيانات والمعلومات الجديدة؛ بما يمكنهم من تعديل إستراتيجيات الإدارة؛ لاستيعاب ديناميكية كامل النظام البيئي



النهاية التوصيات بخصوص البديل المفضل للهيكل الإداري. وقد تم إعداد وثائق العقود من مخططات، ومواصفات وجداول كميات العقد وشروطه .

وتشمل المرحلة الأولى لإعادة التأهيل، والمحافظة على الوادي، استعادة أداء قنوات تصريف السيول، وتحسين قنوات صرف المياه السطحية، وإجراءات لمعالجة نوعية المياه، وأعمال تشجير وتنسيق؛ بما فيها تحسين وضع الطرق، ومرافق البنية التحتية.

إنجاز أكثر من ٦٠٪

وقد تواصلت أعمال مشروع التأهيل البيئي للوادي في مرحلته الأولى الممتدة من سد وادي حنيفة حتى منطقة الحاير جنوب مدينة الرياض، فتم إنجاز ما نسبته أكثر من ٦٠٪، ومن ملامح هذا الإنجاز: قناة المياه الدائمة الجريان، والطرق المحلية، وممرات المشاة، وأعمال تنسيق المواقع، بالإضافة إلى الأعمال التي تمت في بداية العمل في تنظيف الوادي، وإزالة المخلفات، وأعمال تهذيب بطن الوادي، وزراعة النخيل في منطقة ميدان الجزائر الواقع جنوب سوق عتيقة المركزي للخضراوات، ويبلغ عدد النخيل ٢٥٠٠ نخلة، ومن أعمال المرحلة الأولى أيضًا زراعة بطن الوادي بالنخيل والأشجار الطبيعية، كما أُنشئ في ميدان الجزائر نظام المعالجة الحيوية للمياه الدائمة الجريان في الوادي، حيث أنشئت خلايا خاصة يتم توزيع المياه الدائمة عليها ،وسيؤدي هذا النظام إلى استخدام المياه المعالجة بشكل آمن في أغراض الزراعة في الوادي، والاستفادة من المياه بشكل كامل.

> يركز المخطط في تطوير المرافق العامة، والبنى التحتية، : لتكون مؤهلة للظروف الخاصة بالوادي كالسيول والأمطار، ومتوافقة مع احتياجاته، محافظةً على جماليات مناظره الطبيعية، ومؤديةً لوظيفتها بكفاءة عالية

جوائز وتقدير

نال المخطط الشامل لتطوير وادي حنيفة جائزة مركز المياه بواشنطن، بوصفه أفضل خطة لتطوير مصادر المياه على مستوى العالم، وقد تسابق لنيل هذه الجائزة ٧٥ مشروعًا، قدمت من ٢١ دولة.

وعرض هذا المخطط في المؤتمر السنوي لمركز المياه الذي عقد في مونتريال بكندا مؤخرًا، وعدته لجنة التحكيم المكونة من عدد من الخبراء، يمثلون مختلف دول العالم، مشروعًا يمثل بادرة رائدة في المخططات الشاملة، ووصفته بأنه مشروع عالمي، ويضع معايير عالمية جديدة، كما أثني في المؤتمر على الرؤية المستقبلية، والدقة المتناهية، التي اتسم بها المشروع. وحظي المشروع من ممثلة الأمم المتحدة لشؤون التنمية المستديمة باهتمام بالغ بالمشروع، لكونه يتسق مع موضوع دورة لجنة التنمية المستديمة التي عقدت في نيويورك خلال الفترة من ٢٩ صفر إلى ١١ ربيع الأول سنة ١٤٢٥ هـ: (ترميم وتجديد المجاري المائية الحضرية: حلول عملية من حول العالم).

وتشتمل الخطة الشاملة لتطوير الوادي على رؤية ومخطط رئيس عام للوادي، بالإضافة إلى برامج إعادة التأهيل البيئي، وتوفير المساحات المفتوحة والاستجمام، وتدعم هذه الخطة الضوابط الفنية والإدارية اللازمة.

المافيا: تقاليد وثورة

ترجمة : محمود كيلاني

حقق البحث : غابريلا كانجيلوزي

روما ـ إيطاليا

هناك سبق آخر لصقلية، تتمتع به، فضلاً عن كونها أرض التقاليد الثقافية، والوجهة الأكثر طلباً من وجهة النظر الطبيعية والفنية، ألا وهو كونها مهد المافيا.

سوف أقدم في هذا البحث تحليلاً معمقاً للظاهرة المافيوية، بدءاً من نشوئها، ومحاولة التركيز في أسلوب عملها، وفي كيفية الارتقاء في المناصب داخل منظومتها، ونوعية الشرعية التي يسبغها رجل المافيا على نفسه، لأنتقل - فيما بعد - إلى هيكلية التنظيم، ووظائف السلوك المافيوي، بحيث يمكن تسليط الضوء على ما بات يعدّ «الداء الأبدي».

سوف أستهل البحث بالخوض في مفهوم المافيا، مع الإشارة إلى الأصول اللغوية للكلمة من خلال عرض شامل لمختلف النظريات التي تناولت هذه النقطة.

فيما بعد سوف أتعرض لتاريخ الظاهرة المافيوية بدءاً من أزمة مالكي الأراضي، وصولاً إلى التجارة الدولية غير الشرعية المعاصرة.

وسأتناول بصورة خاصة طرائق التنفيذ التي يختارها رجل المافيا، وإستراتيجيات العمل. وفي الختام سيكون هناك تطرق إلى الموقف الذي تبنته الدولة حيال تشعب الظاهرة المافيوية وتطورها في وقتنا الحاضر.



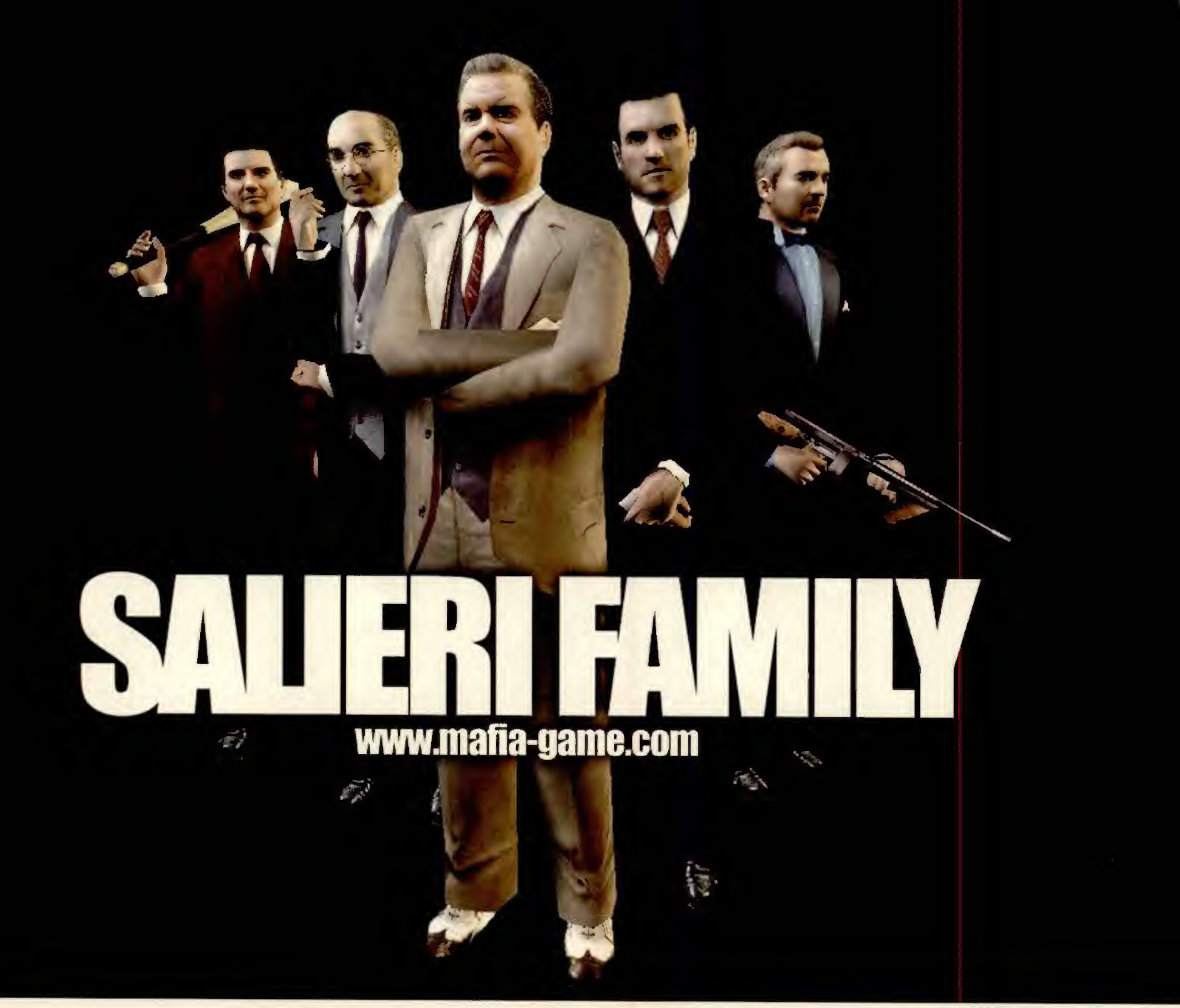
كلمة المافيا: الأصول والانتشار

إن أول مرة ظهرت فيها كلمة المافيا كانت في باليرمو ضمن وثيقة تعود إلى عام ١٦٥٨م؛ وذلك في مذكرة رسمية احتوت على قائمة بأسماء بعض المهرطقين، حيث أطلق لقب مافيا على مشعوذة اسمها كاتارينا لا ليكاستيا من أجل توضيح الظمأ إلى السلطة والعجرفة اللذين نسبا إلى سلوك تلك المرأة.

وبعد قرنين من الزمان، وفي أحد أحياء مدينة باليرمو الذي يُدعى بورغو، صارت كلمة «مافيا» تتداول كمرادف لـ «الجمال والإقدام والكبرياء والأناقة والرفعة». وهكذا أصبحت الفتاة الجميلة تدعى mafiosa و mafiusedda، وكذلك كان الأمر في حال الحديث عن الرجل المقدام الرفيع الشأن.

لقد صارت صفة mafioso تدل على الاحترام والشرف في اللهجة المتداولة بفضل الإنتاج السينمائي الأمريكي (فلم العراب مثلاً).

وفي هذا الإطار فإن من المفيد اعتبار انتشار هذه الصفة (التي ازداد تداولها شعبياً) قد تعزز بفضل



المافيا ألهبت المهتمين بألعاب الأطفال الإلكترونية

تبنيها من جانب الأجهزة التشريعية والقضائية، واهتمام الصحافة والتلفزة (والإنترنت حديثاً) بها، نتيجة الأحداث المتلاحقة المرتبطة بالمافيا.

الجذر العربي لكلمة مافيا

من وجهة النظر اللغوية هناك نظريات مختلفة ترى أن كلمة مافيا ذات جذور عربية. النظرية الأولى تقول:

إن التعمق في الطابع الدموي للمافيا أفسح المجال لمعرفة أن الخنق هو إحدى التقنيات المفضلة في تصفية الخصوم. والأشخاص الذين تعتقد الضحية أنهم محل للثقة يقومون بالتقرب منها. ومن ثم استدراجها إلى مكان ملائم للتصفية

إن أصل الكلمة يعود إلى تعبير mahios الذي يعني في اللغة الإيطالية المتبجح أو السفيه. وهناك نظريات أخرى تعتقد برجوع أصل الكلمة إلى Maafir، وهو اسم إحدى سلالات السارزان العربية التي حكمت باليرمو.

النظرية الثالثة تعيد الجذر العربي للكلمة إلى صفة maha، وتعني مغارة الحجر. وبالفعل فقد كانت المغارات التي تشكلت من بقايا البراكين في منطقة مارسالا (غرب صقلية) هي الملاذ الآمن لـ السارزان العرب الهاربين.

وفي مرحلة لاحقة ارتبطت الصفة بولادة جمعية سرية، وفق إحدى النظريات، جعلت كلمة مافيا اشتقاقاً محوراً mu afa معافى العربية، حيث يعتقد أن الجمعية السرية التي كانت توفر الأمن والعافية لأعضائها كانت تحمل اسم mu afa معافى".

وظلت هذه الصفة تستخدم للتدليل على الرفعة والجمال والكمال" حتى عام ١٨٥٠م. أما الاستعارة اللفظية التي صارت ترى المافيا مرادفاً للجمعية الإجرامية وللفساد، فهي حديثة العهد نسبياً.

انتشار الكلمة

ترجع أول وثيقة وردت فيها الإشارة إلى مفهوم cosca أو التنظيم المافيوي إلى عام ١٨٣٧م، إذ كتب المدعي العام في محكمة تراباني العليا إلى رؤسائه في نابولي يشرح لهم فيها عن وجود إخوانيات غريبة منهمكة في أنشطة إجرامية من قبيل طلب فدية للماشية المسروقة.

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر تقريباً، أصبح لفظ مافيا جزءًا من المأثور الشعبي مع بدء عرض المسرحية الدرامية الشهيرةImafiusi della vicaria لـ جوزيبه ريزوتو وغايتانو موسكا باللهجة الصقلية التي ترجمت إلى الإيطالية، وإلى لهجة نابولي. وتسهم هذه المسرحية التي تدورأحداثها داخل سجن باليرمو، في تقديم رجل المافيا على أنه رجل يستحق الاحترام مقارنة بزملائه في السجن، لتحليه بمرتبة أعلى من الشرف، ولتمتعه بقدر أكبر من السلطة.

فيما بعد تحول تعبير مافيا ليصبح متداولاً على نطاق واسع للإشارة إلى أفراد متكبرين وعنيفين مرتبطين بعلاقات غامضة، تثير الرهبة، مستعدين لارتكاب أي فعل حتى ولو كان إجرامياً. ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين رسخت كلمة المافيا أقدامها كمرادف للتجبر، وللسلطة الموازية.

في نحو عام ١٨٧٥م بدأت كلمة مافيا بالظهور حتى في اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، حينما بدأ الرأي العام يهتم بالمناقشات البرلمانية حول الإجراءات المقترحة من حكومة تلك الحقبة؛ من أجل إعادة فرض الأمن العام في صقلية.

ومن بين الأحداث البارزة، نذكر اغتيال الشرطي هانسي في عام ١٨٩١م، ومذبحة مجموعة من السجناء في سجن نيواورلينز عام ١٨٩٩م، ومحاكمة نوتاربارتولو في عام ١٩١٢م، ومقتل الشرطي الأمريكي بيتروسينو في عام ١٩٢٧م، وتوقف حملة مدير الأمن موري ضد المافيا في عام ١٩٥٠م، وقضية زعيم المافيا جوليانو في

إن خصوصية الثقافة والنظام المافيويين تتبدى بوضوح من خلال تحليل ظاهرة الاغتيالات، التي تعكس بنية هيكلية فريدة، نتيجة ارتكابها من جانب المافيا. وجريمة القتل المافيوية استعراضية بامتياز؛ لأنها تبعث برسالة، غالبًا ما تحمل في طياتها معنى التحذير

عام ١٩٥١م، وتقرير كيفاوفر عام ١٩٥٧م، واعتقال ٦٥ من أتباع المافيا الإيطاليين الأمريكيين في أبالاكين.

ولا تزال النظريات حول المافيا تواصل تبلورها انطلاقاً من الحاجة إلى إيجاد تفسير لبعض الوقائع والمؤامرات الدنيئة.

لقد انتشرت كلمة مافيا بدرجة أكبر بفضل انتشار وسائل الاتصال الكونية ، إذ اتجهت في بعض الأحيان لتتبع أبعاد محددة لظاهرة Cosa Nostra.

يكفي أن نذكر أيضاً دخول الصناعة السينمائية التي غالباً ما قدمت عرضاً محرفاً للعالم الإجرامي المافيوي، لتخلق بذلك أنماطاً لا تتقاطع في غالب الأحيان مع الواقع البين.



الصناعة السينمائية حرفت العالم الإجرامي المافيوي

استعراض تاريخي موجز للمافيا: من أزمة الأراضي الزراعية الواسعة إلى التجارة الدولية غير الشرعية المعاصرة

لقد تطورت الظاهرة المافيوية في مطلع القرن التاسع عشر خلال الحكومة البوربونية في غرب صقلية حيث كانت الأراضي الزراعية الواسعة تستأجر من المتنفذين أو gabelloti الذين كانوا يلجؤون إلى التهديد والابتزاز من أجل الحصول على تلك الأراضي بأسعار بخسة من مالكيها (البارونات). وظلت الأراضي الزراعية الواسعة تستحوذ على السواد الأعظم من واقع البنية الإنتاجية في صقلية حتى بدايات القرن التاسع عشر، بوصفها الإرث المباشر لأحد آخر النظم الاقطاعية في أوربا، حين كان الفلاحون يقفون في جانب، والنبلاء المالكون في الجانب الآخر. وبين هذا الطرف وذاك، كانت جماعات العنف من المنحرفين تجد لنفسها مكاناً، حيث تمارس مهام الرقابة والوساطة والملكية والإنتاج، مع التحكم في نزعات العنف السائدة في أوساط المعدومين، الذين كان ريف صقلية يعج بهم.

في أثناء ذلك كانت النظم الإقطاعية القديمة ذات الطابع المحلي قد دخلت في أزمة حادة، وذلك لعجزها عن التوصل إلى مرحلة النظام التقعيدي العام الذي يمكنه التمتع بحماية القانون.

ومع غياب الدولة الليبرالية، وتحطم التوازنات القديمة لم يكن هناك بد من تبلور حالة من الفوضى التي استغلها gabellotti أيما استغلال.

فقد لجؤوا إلى القوة مستخدمين العنف المسلح حتى مع الفلاحين والعمال الموسميين من أجل الحصول على



كلمة المافيا أصبحت مرادفة للتجبر والتسلط

أعلى المكاسب، ولهذا الغرض قاموا بتجنيد رجال مسلحين أطلق عليهم لقب campieri، كانوا يجولون متوعدين كل فلاح تسول له نفس سرقة الماشية، أو قطع الأشجار أو تسميم الآبار؛ بأشد أنواع العقاب.

وهكذا وضع كل من الـ gabellotti وcampieri المجتمع بأسره تحت سيطرتهم، وهذا الاتحاد كان يثلج صدور البارونات والسياسيين، بل وحتى الملك.

في أعقاب توحيد إيطاليا (عام١٨٦١م)، ولعدم ثقة عموم الشعب بالحكومة التي أطلق على أعضائها لقب «البيمونتيون» (نسبة إلى مقاطعة بييمونته شمال غرب إيطاليا التي شكلت النواة الأولى للوحدة على يد آل سافويا)، فقد فضلوا المعاناة تحت نير الجرائم على الشكوى إلى السلطات، مما فتح الطريق لظاهرة الكتمان.

شهدت الحقبة الفاشية (١٩٢٢- ١٩٤٣) مرحلة من التصادم بين الدولة من جهة والسلطة المافيوية من جهة أخرى، لكن ذلك لم يمنع المافيا على أية حال من البقاء حية. فقد وجهت ضربة قاسية للتنظيمات الإجرامية بشكل عام، فضلاً عن الرجال المتنفذين في المافيا وذلك تحت توجيه من مدير الأمن آنذاك موري. على الرغم من ذلك، لم يتم اعتقال القياديين الذين ظلوا متخفين بانتظار أوقات أفضل، ومنهم من رأى التوجه إلى أمريكا ليكونوا ما صار يعرف «كوزا نوسترا الأمريكية».

لقد تعاونت المافيا الصقلية والأمريكية فيما بعد مع قوات الإنزال الأمريكية التي طردت النازيين من جزيرة صقلية. ونجحت المافيا في انتهاز تلك الفرصة لكي تقحم «سالفاتوره جوليانو» وهو إحدى الشخصيات التي ظلت حتى وقت قريب مضى من أبرز المدافعين عن حقوق الفلاحين. وهكذا تمت بلورة مشروع سياسي يقضي بالمطالبة بفصل جزيرة صقلية عن باقي أنحاء إيطاليا ليتسنى بذلك للمافيا أن تبسط سيطرتها عليها.

لكن هذا المشروع كان عصياً على التنفيذ، خاصة بعدما أعلنت صقلية مقاطعة ذات تشريع استثنائي تخضع لقواعد ونظم تحترم واقعها المحلي.

ومنذ ذلك الحدث، ظلت العلاقة بين السياسة والمافيا قوية ومتماسكة، حيث تستنفذ كل المزايا والفرص التي يوفرها مثل هذا النوع من التعاضد. وما إن وضعت الحرب أوزارها حتى امتدت يد المافيا لتسيطر على مقاولات إعادة بناء كل ما دمّره القصف.

في هذه الحقبة عاشت الجزيرة تشويهاً لا سابق له في الجمال الطبيعي نتيجة البناء العشوائي، مع ما رافق ذلك من حرب شعواء بين مختلف الفرق المافيوية، حين كانت ترمى جثث الخصوم في مواقع ورشات البناء، وفي مجمعات النفايات، في الوقت الذي يحتل فيه زعماء المافيا المنتصرون ورشات المهزومين (بهذا الشكل تكونت العائلات الكبرى مثل كورليونيزي، وليجو، وريينا، وباغاريللا، وبروفينزانو).

لقد أدت عملية التوسع العمراني وزيادة ورشات البناء، وتطور مستوى الربح المرتبط بعالم مقاولات الإنشاءات العامة، خلال مرحلة إعادة البناء الكبرى في الأعوام الأولى، التي تلت نهاية الحرب، إلى أن تغير المافيا من نظرتها إلى المدن، وتلتفت إليها بوصفها المقر المفضل لإدارة أعمالها.

كانت أولى الخطوات على هذا النهج جلية في بسط النفوذ الكامل على أسواق الفواكه والخضراوات التي تمثل حلقة الوصل بين المدينة ومصادر الريف، حيث السلطة والتحكم المافيويان أقوى وأكثر رسوخاً. ولا يمكن إغفال حقيقة أن القطاع الإنشائي ظل ـ بلا شك ـ أكبر الأعمال، وأكثرها ربحية، خاصة بعدما انتقلت العائلات المافيوية إلى الاهتمام بعمليات بيع المناطق القابلة للبناء شرائها وتوزيعها، والتي تختبئ تحت غطائها أرقام فلكية من الأموال القذرة، وهي السبب الرئيس في ارتقاء الكثيرين إلى مرتبة الغناء الفاحش المباغت.

في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١م؛ أي: خلال عشرة أعوام فقط، تزايد عدد سكان مدينة باليرمو بواقع مئة ألف وحدة. وبفضل المساعدة الحاسمة للطبقة الحاكمة الجديدة -التي كانت في بعض الأحيان تعبيراً عن الخيار السياسي في الانتخابات التشريعية العامة حيث

يمكن اكتساب الهيبة في العائلة المافيوية عن طريق تنفيذ الاغتيالات، التي تمثل حقل التجارب الأمضى، حيث يبرز رجل الشرف قيمته. وكلما كان الاغتيال مهماً علا شأن الرجل المافيوي، الذي يفترض فيه التحلي بخصال رئيسة، وهي: الجسارة والقسوة والحزم

يتعرض الريف الصقلي إلى ضغط الابتزاز المافيوي لمصلحة هذا المرشح أو ذاك- حققت المافيا توسعاً جديداً حين فرضت نفوذها المباشر وغير المباشر على المخططات التنظيمية، وعلى منح رخص البناء وبيع المناطق القابلة للبناء وشرائها.

كانت أعوام الستينيات هي حقبة الطفرة الاقتصادية، وإعادة البناء في باليرمو، تماماً كما كانت حقبة الخروج عن التقاليد للشبيبة الطامحة إلى الولوج في عالم السياسة حيث كان لابد لها أن تصطدم مع جيل صاعد من القيادات المافيوية الشابة (وخاصة في نابولي) المنهمكة في استئصال الوجوه المألوفة القديمة.

في عام ١٩٧٨م وصل إلى اللجنة (الجهاز القيادي

الواقع ان الانتساب إلى المافيا يتم وفق "انتقاء" قائم على معايير متوارثة، أو اختيار على أساس الجدارة. هناك معيار انتقائي جدًا سار مفعوله في عملية استقطاب الأعضاء الجدد الذين يفدون أصلاً من أوساط مافيوية، أو من عائلات تنتمي إلى المافيا منذ أجيال



صورة صنعتها هوليود للمافيا

الذي تسند إليه أخطر المهام) عدد من الشخصيات الجديدة. في ذلك العام نفسه، وفي أعقاب نقاش محتدم، قررت اللجنة إنهاء علاقتها مع بعض هؤلاء. وخلال العام ١٩٧٨م، تم اغتيال مجموعة من الزعامات العائلية المتنفذة. وامتدت المذبحة المافيوية حتى مطلع الثمانينيات حيث خلفت نحو عشرين ألف ضحية في أنحاء جزيرة صقلية كافة، كان منهم عدد كبير ممن ظلوا حتى اليوم مجهولي الهوية.

لقد شكلت تلك المعركة منعطفاً حاسمًا في تاريخ المافيا الصقلية، إذ أدت إلى انتقال المنظومة المافيوية من التعددية الديمقراطية إلى نظام ديكتاتوري يحكمه أبناء بلدة «كورليونه» ريينا وبروفينزانو ، مستمداً أسسه وقواعده من الترهيب، سواء على المستوى الداخلي التنظيمي أو على مستوى المجتمع والدولة.

بتاريخ ١٩٩٢/١/٣٠م أصدرت محكمة النقض العليا حكماً يؤكد حزمة التهم في أكبر محاكمة للمافيا التي عرفت بنظرية «بوشيتا». كانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ القضاء الإيطالي التي توصف فيها المافيا بأنها «بنية تنظيمية موحدة مركبة وذات منظومة تراتبية تخترق السياسة والاقتصاد». وفي الحكم نفسه جدد

القضاة الأحكام الصادرة على رجال الشرف والشخصيات الرفيعة في العائلات المافيوية بتشديد العقوبات المنزلة على أعضاء اللجنة.

ولما ساد الاعتقاد أن أجواء من الهدوء قد بدأت تعم، وقع انقلاب جذري في أوساط السجون ودوائر كوزا نوسترا، حيث قرر كبار رجال الشرف فجأة أن الثقة التي كان يتمتع بها السياسيون لم تعد قائمة بعد الآن. وهكذا صارت الجملة الأكثر سماعاً: «سوف نكسر رؤوس الجميع..». لقد حانت إذاً ساعة الانتقام من السياسيين الذين لم يصونوا عهودهم المقطوعة للمنظمة المافيوية (لكونهم لم يوفروا الغطاء اللازم في أثناء المحاكمة المذكورة)، ومن كل الذين سخروا أنفسهم في سبيل معركة القضاء على المافيا.

أواخر الشهر الثاني من عام ١٩٩٢م عقد اجتماع في باليرمو للقيادات العليا والجهوية من أجل بحث خطة مفتوحة لهجوم عسكري عُدَّت أبعاده ذات أهميةرمزية / تمثيلية.

كانت تلك الخطة تتضمن - وفق ما ورد في جلسات الاستماع إلى الشهود المتعاونين مع المافيا - التصفية الجسدية لقضاة مثل (جوفاني فالكونه، وباولو بورسيلينو)، ومحققين، مثل: (أرنالدو لاباربيرا)، وسياسيين، مثل: (كلاوديو مارتيللي، وكالوجيرو مانينو)، وشخصيات من عالم الفن والإعلام.

وظل الهدف الرئيس من هذا الهجوم العسكري هو التخلص من جوفاني فالكونه الذي اغتيل في صيف العام نفسه قرب بلدة كاباتشي على طريق مطار باليرمو؛ وذلك للآثار المدمرة التي أحدثتها الأحكام القاطعة للمحاكمة الكبرى على التنظيم الداخلي لـ «كوزا نوسترا» التي كان فالكونه قد أصر عليها، وأيضًا، وبصورة خاصة، للحؤول دون أن يتم تعيين فالكونه بمنصب المدعي العام القومي لمكافحة المافيا.

رويدًا رويدًا، وبينما كان الهدف الاصلي من الهجوم هو الانتقام «الاعتيادي»، شاع الاعتقاد، مع تزايد وتيرة اعتداءات المافيا التي نشرت الرعب والعنف، أن هناك رؤية ذات أبعاد عمق؛ أي: ابتزاز الدولة. يقول سالفاتورا ريينا لمعاونيه: «علينا أن نشن الحرب ثم نعقد السلم..»

القنابل والسيارات المفخخة التي زرعتها «كوزا نوسترا» في تلك الفترة كانت جزءًا من مخطط متكامل ومركب، يرمي إلى بدء مفاوضات مع مؤسسات الحكم، وإعادة التوازن إلى العلاقة مع الدولة مع إيجاد حلقات وصل جديدة في عالم السياسة والاقتصاد.

ابتداءً من النصف الثاني لعقد التسعينيات، تغير سلوك المنظمة المافيوية ليصبح أكثر سكونًا وهامشية، وهذا ما انعكس على التراجع الملحوظ في نسبة الاغتيالات، وأعمال العنف التي حملت بصمات عائلات «كوزا نوسترا».

لقد حدا هذا الغياب المؤقت عن الساحة بعدد من المحللين للظاهرة المافيوية على الاعتقاد أن «كوزا نوسترا» تمر بمرحلة اضمحلال بطيء لا رجعة عنه. وتعززت هذه النظرية مع نشر معطيات عام ١٩٩٣م حول انحسار مستوى

خلال عام ١٩٧٨م، تم اغتيال مجموعة من الزعامات العائلية المتنفذة. وامتدت المذبحة المافيوية حتى مطلع الثمانينيات حيث خلفت نحو عشرين ألف ضحية في أنحاء جزيرة صقلية كافة. كان منهم عدد كبير من ظلوا حتى اليوم مجهولي الهوية

ابتداءً من النصف الثاني لعقد التسعينيات، تغير سلوك المنظمة المافيوية ليصبح أكثر سكونًا وهامشية، وهذا ما انعكس على التراجع الملحوظ في نسبة الاغتيالات، وأعمال العنف التي حملت بصمات عائلات "كوزا نوسترا"

النشاط الجرمي للمافيا : عام ١٨١٩م شخص تحت المراقبة الامنية، ٥١٥ مليار ليرة إيطالية قيمة الممتلكات المحجوزة، و١٣١٧٩كغ من المخدرات المصادرة إلخ..

الواقع أن الوجه المسلح والعنيف لـ « كوزا نوسترا» تغير ليصبح متسماً بالحوار والمساومة، وفق تقليد عزيز على قلوب القياديين، الذين ترعرعوا في حقبة الستينيات. وهذا كله كان نتاج عملية إعادة هيكلة داخلية للتنظيم من خلال توزيع أشمل للوظائف بين العائلات والعصبات، مع فرض غطاء كثيف من السرية على هوية «رجال الشرف»، والحد من العوائق الشكلية في عملية تجنيد «الأنصار»، أو من يطمحون إلى هذا الدور بزيادة الحوافز المالية لهم ولأسرهم.

لقد اتسعت أنشطة المافيا مع مرور السنين لتصبح بلا حدود، ولو أن تجارة المخدرات الدولية ظلت تحتل المقام الأول، تتبعها الإتاوة على التجار، ثم بيع الاسلحة وشراؤها بأنواعها، وغسيل الأموال القذرة باستثمارها في مجالات مشروعة ظاهرياً، لتصل أخيرًا إلى قطاع تصريف النفايات وتحويلها .

وصف قضاة الجمعية المافيوية « كوزا نوسترا» في نهاية القرن العشرين الميلادي في الحكم الصادر بتاريخ ١٩٩٧/٤/٢١م، قدم قضاة الدائرة الثانية لمحكمة الاستئناف في باليرمو (الرئيس فينشنزو أوليفيري، والقاضية العضو ميريلا الياسترو) وصفًا لتنظيم « كوزا نوسترا» على النحو الآتي :

لقد توافقت التحريات المعمقة، وما أظهرته اعترافات المتعاونين مع العدالة من الأعضاء السابقين في مختلف مراتب التنظيم المافيوي في صقلية، على اعتبار وجود جمعية رسمية وسرية، أعضاؤها من كبار مجرمي الجزيرة، تطلق على نفسها اسم «كوزا نوسترا». تمتلك هذه الجمعية قواعد للسلوك، وأجهزة اتخاذ قرار، وتقاسماً في الأدوار، وخططًا للعمل، وإجراءات ومراحل لقبول المنتسبين الجدد. تنتشر «كوزا نوسترا» بصورة خاصة في محافظة باليرمو، وفي عدد من المحافظات الصقلية الأخرى. كل هذا بات، كالحقيقة المطلقة غير القابلة للنقاش.

إن الفقه القانوني، حتى قبل إصدار المادة ٤١٦ب من قانون العقوبات (إيطالي)، التي ورد فيها بجلاء تعريف الجمعية ذات الطابع المافيوي، كان ينزع إلى تأكيد وجود تنظيمات مافيوية (ولو أنها غير مرتبطة بعضها ببعض بإطار توحيدي) تمت إحالتها إلى القضاء في باليرمو ومراكز أخرى في محاكمات شهيرة (من قبيل محاكمة الـ ١١٤ المتصلة بمذبحة شارع لاتزيو، وتلك المنعقدة ضد مافيا كارديللو..). لقد وثقت اعترافات ما صار يعرف بـ «تائبي المافيا» كل التوقعات والتخمينات والمعطيات الافتراضية، التي وضعتها أجهزة الشرطة، والسلطات القضائية حول الظاهرة المافيوية، فقد كشفت النقاب عن أن «كوزا نوسترا»، ومع كونها تنظيماً مركباً وغير مركزي، إلا أنها - في حقيقة الأمر - ذات مرجعية موحدة في سائر أنحاء صقلية من خلال أجهزة اتخاذ قرار مركزية ومحلية، تتبع لها، تم تشكيلها وفق قواعد دقيقة، تراعي أبسط نواحي الحياة، وحزمة



من العقوبات الصارمة تتخذ على مستوى القيادة، وتحال إلى الجهات للتنفيذ. إن وجود «كوزا نوسترا» ومنظومتها إذاً بات جزءاً رئيسًا من الزاد المعرفي للقضاة، سواء عبر مشاركتهم المباشرة في المحاكمات، أو من خلال الاطلاع على حيثيات الأحكام الصادرة بحق المنتمين إلى المافيا. وبفضل سلسلة الاعترافات التي أدلى بها توماسو بوشيتا، أحد أكبر قياديي «كوزا نوسترا»، الذي قرر التعاون مع العدالة بتاريخ ١٩٨٤/٧/٢١م. وما تلاها من معلومات قدمها تائبون آخرون في فترات متلاحقة، فقد تجلت أبعاد التنظيم الإجرامي المافيوي، وأصبحت أكثر دقة وعلمية. إن الطابع الموحد للتنظيم (على الرغم من التقسيم العائلي على الأرض) أدى إلى نشوء جهاز قيادي تباينت مسمياته، كانت مهمته تنسيق العلاقات بين العائلات لدرجة التدخل في شؤونها، إذ يوجد في كل عائلة مستشار، وعدد من رؤساء الخلايا، ثم رؤساء المجموعات العشرية، فرجال الشرف، وصولاً إلى المراتب الأعلى. إن المرجعية الموحدة للتنظيم بادية للعيان بفعل القواعد التي تجري على أساسها حياة كل عائلة على الأرض، وهو ما يشبه - إلى حد كبير - تنوع أجهزة الدولة بمعناها الحديث (على الرغم من افتقارالأولى للشرعية التي تتمتع بها الأخيرة). وبالانسجام مع مستوى المعرفة والاطلاع اللذين توافرا بأمور المافيا، فإن بوسع المرء الآن أن يجزم بوجود هيكلية متكاملة للسلطة موحدة الأطراف ومتعاضدة، مختلفة الوظائف، وذات قيادة عليا مؤهلة للقيام بدورها بفضل القواعد التي تواترت شفاهاً. إنها في الحقيقة منظومة قادرة على برمجة أنشطتها التنفيذية تستند إلى / جيش مسلح /، ودوائر مالية متنفذة. وهذا التنظيم يرمي في واقع الحال إلى السيطرة على الأرض عبر مبدأ الابتزاز مقابل الحماية، وسلسلة من الأنشطة الاقتصادية الطفيلية، وكل ذلك في إطار لوائح صارمة، ونظم داخلية، وتقاليد ثابتة، ومنطلقات نظرية لا تقبل النقد. بكلام آخر، فإن «كوزا نوسترا» تطمح إلى فرض حمايتها، ورعاية مصالحها «المشروعة» منها وغير المشروعة، والسهر على إشباع حاجاتها وحاجات أتباعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية من خلال شبكة علاقات متشعبة، تقوم على المحسوبية، والبنى العائلية، وتبادل المنافع. إن هذه الخاصية مترافقة مع الهدف الدائم المتمثل في كنز أكبر كم ممكن من السلطة، تمنح «كوزا نوسترا» كتنظيم إجرامي ثقافة وإستراتيجية سياسية ذاتيتين. من المقبول إذاً القول: إن «كوزا نوسترا» تشكل في صقلية إطارًا تاريخيًا باتت أبعاده بينة المعالم على مستوى قانون المرافعات القضائية؛ وذلك بعد الحكم الصادر عن محكمة الاستئناف في باليرمو في قضية /جوفاني اباته/ التي تلاقت حيثياته مع مضمون القرار الصادر بتاريخ ١٩٩٢/٠١/٣٠م عن المحكمة العليا. وكان الحال كذلك مع الكثير من الأحكام الصادرة عن محكمة النقض التي شملت وصفاً شافياً لخصائص التنظيم، إذ عدّت ما تراكم من معلومات حول «كوزا نوسترا» بمنزلة قرائن ولا سيما فيما يتعلق بتركيبة القيادة والبنية التراتبية

لقد تطورت الظاهرة المافيوية في مطلع القرن التاسع عشر خلال الحكومة البوربونية في غرب صقلية حيث كانت الأراضي الزراعية الواسعة تستأجر من المتنفذين أو الذين كانوا يلجؤون إلى التهديد والابتزاز



(المافيا) اسم يستغل تجارياً بأكثر من صورة

داخل الخلايا المحلية والقومية، بالإضافة إلى ترامي أطراف الشبكة التنظيمية، واللجوء إلى أساليب البطش والتهديد، وممارسة العنف، كأسلوب للتعبير عن السلطة، بينما كان في السابق وسيلة لفض النزاعات. وفي الختام يمكن الزعم، بالاستناد إلى الحكم الصادر في ١٩٩٢/٠١/٣٠ عن محكمة النقض، أن الجذور التاريخية لتنظيم كوزا نوسترا قد أعلنت.

مبادئ المافيا وقواعدها

تمتاز المافيا من سائر التنظيمات الإجرامية بكونها تعتمد على بنية مركبة وصارمة، وسيكون الاستهلال بوصف خصائصها (الموجودة في متن الحكم الصادرعن الدائرة الثانية لمحكمة الاستئناف في باليرمو بتاريخ ١٩٩٧/٤/١٢م اعتباراً من المرحلة الاولى؛ أي: عملية الانضمام إلى التنظيم المافيوي.

الواقع ان الانتساب يتم وفق «انتقاء» قائم على معايير متوارثة، أو اختيار على أساس الجدارة. هناك معيار انتقائي جدًا سار مفعوله في عملية استقطاب الأعضاء الجدد الذين يفدون أصلاً من أوساط مافيوية، أو من عائلات تنتمي إلى المافيا منذ أجيال.

والإجراءات المتبعة، صارمة إلى حد بعيد، إذ يطبق تدقيق مجهري في «السيرة الذاتية»، سواء منها الفردية

(الطباع والاستعداد الإجرامي)، أو العائلية للمرشحين، مع التركيز في مدى إمكانية الثقة بهم «إجراميًا»، وفي عدم وجود أي ظروف عائقة محتملة (من قبيل انتماء أحد أقربائهم إلى سلك قوى الأمن أو القضاء، أو ألاّ يكونوا من أقارب / ضحايا / للمافيا ذاتها). وهذا الإطار يتطلب وجود حالة عائلية «نظيفة» من أي ارتباط مع أشخاص يمثلون سلطات الدولة.

تتألف مراتب التنظيم المافيوي أو cosca من مجموعتين :

ـ الأولى تضم رجال الشرف؛ أي: أولئك الذين تم قبولهم عبر إجراءات انتساب رسمية، ولهم الحق في الاطلاع على المعلومات كافة، وإمكانية التدرج في المراتب الداخلية للعائلة نفسها، ويعرفون بلقب «الجنود».

ـ الثانية وفيها كل المتعاونين المتفرغين - على الرغم من عدم انتسابهم رسمياً - إلى الأنشطة الشرعية وغير الشرعية لـcosca، ويشكلون جزءًا رئيساً منها، علمًا أنهم لا يتمتعون بحق الاطلاع على المعلومات كافة، ويعرفون بلقب «الأتباع».

إن العلاقة بين رجال الشرف والأتباع تنفرد بصبغة خاصة، إذ تسير الفرقتان في مزاولة الأنشطة، وتكمل الواحدة الأخرى، مع الأخذ في الحسبان أن «الأتباع» تقع على عاتقهم مهمة تجنيد منتسبين جدد؛ كي يصبحوا رجال شرف.

ورجال الشرف يتولون المهام المنوطة بهم، وفي مقدمتها إخضاع المنتسبين لإجراءات القبول الرسمية، وتلقينهم أساليب حركة رجل المافيا، وضرورة أن يسخر كل طاقة شخصية في خدمة المجموعة وأهدافها الإجرامية.

بالإضافة إلى ما ذكر، هناك «المساندون» الذين يضعون أنفسهم تحت تصرف cosca، حيث يبقون بعيداً عن أجهزة المافيا حتى لا يثيروا أقل قدر ممكن من الشبهة، ويبقى دورهم التعاوني ثابتًا.

وتدور في فلك cosca عناصر ترتبط بأعضاء الخلية بأواصر قربى طبيعية ومكتسبة. ينتمي هؤلاء إلى الشرائح الاجتماعية المختلفة فيما بينها، فمن المهن الحرة إلى موظفي الإدارة العامة والشخصيات المتنفذة في عالم الاحتيال الاقتصادي والمالي الذين يقيمون علاقات غير منتظمة ولا مرئية تستند إلى أساس الثقة بتقديمهم معلومات واستشارات، وملاجئ ومساعدات.

ومما يدهش في خصائص التنظيم المافيوي كونه يتمتع بـ «الاستقرار» على مدى السنين؛ وذلك لأن جيش «الجنود» المافيوي لا يبدو قابلاً للانقراض. وهذا الاستقرار ـ في واقع الأمر ـ يمكنه الاعتماد على تبادلية فيزيولوجية حين يبدأ الجيل الشاب المنتسب بالطموح إلى الارتقاء نحو الدرجات العليا في القيادة، فيلجأ إلى العنف المسلح لتثبيت أقدامه في أوساط «النخبة» المافيوية.

ويلاحظ المرء أيضاً وجود سمة «التجذر الإقليمي» لـcosca، حيث يتم تقسيم مناطق النفوذ بشكل لا يترك أي جزء بعيداً عن السيطرة.

لقد أكد سائر «تائبو المافيا» «مركزية» المافيا خلال المحاكمات التي جرت لهم. يقول أحدهم : «وظيفة

قبيل انتهاء عام ١٩٩٢م. وفي أعقاب مرحلة مذبحتي المافيا في كاباتشي، أدى الرد الحاد والمفاجئ لنشاط الدولة القمعي إلى ضرب المنظومة المافيوية بشدة. من هنا جاءت اعتقالات عدد من رجال الشرف (من بلدة كورليونه)، بينما قرر بعضهم التعاون مع العدالة

الارض مزاولة التجارة، واستباق مناورات الخصوم، وفرض السيطرة على السكان..».

ومن خصائص المافيا الأخرى المميزة كونها تتمتع بـ «الحصانة»، التي تعدّ مؤشرًا واضحًا على هيبة «رجال الشرف»؛ إذ تظهر مدى قدرتهم على التأثير في أنشطة الدولة. هذه الخاصية تم تأكيدها في أكثر من إفادة أدلى بها «تائبو المافيا» المتعاونون مع العدالة.

تقوم ممارسة المافيا لسلطتها على أساس اعتمادها على «قوة عسكرية»، وظيفتها السهر على حماية مصالح التنظيم، وضمان أمن أعضائها. من هنا ينبع واجب الحفاظ على قوة ضاربة بوسعها فرض الاحترام والسيادة على الأرض، وهو ما ظهر بصورة ملموسة في مرحلة قيادة عائلة «كورليونيزي».

إن دور العنف حاسم في تقرير طبيعة حركة المافيا، إذ يستند الارتقاء داخل الجماعة أو العائلة إلى مستوى العنف المستخدم ليتربع المنتصرون على قمة القيادة المافيوية، حيث يشكلون بدورهم - فيما بعد - عائلة خاصة بهم، لها أنشطتها الذاتية، وعلاقتها المستقلة.

العنف ليس وسيلة مهمة للارتقاء فحسب، بل لا يزال أيضاً أحد أسس الذود عن السلطة.

وتمثل القدرة على استخدام العنف رأس المال الأكثر أهمية داخل الدوائر المافيوية. وتتكون قوة بعض الشخصيات البارزة داخل المافيا في عمق الخبرة التي لديهم في استخدام العنف.

يمكن اكتساب الهيبة في العائلة المافيوية عن طريق تنفيذ الاغتيالات، التي تمثل حقل التجارب الأمضى، حيث يبرز رجل الشرف قيمته. وكلما كان الاغتيال مهماً علا شأن الرجل المافيوي، الذي يفترض فيه التحلي بخصال رئيسة، وهي: الجسارة والقسوة والحزم.

والهيبة تقوم على احترام الآخرين من منتسبين وغيرهم، وهذا ما يتميز به رجل الشرف. تسمح هذه الهيبة لرجل الشرف بأن يقوم بدور القيادة مع من يخضع له، والتأثير في كل من يحيط به.

يصبح البحث عن الهيبة ضرورياً في تنظيم ينزع إلى ممارسة الهيمنة داخل إطار الأوساط الصقلية التقليدية التاريخية، حيث للسلطة الشخصية، وعلاماتها الخارجية أعظم الأهمية.

ويستغل رجل الشرف، فضلاً عن ذلك، العلاقات المتشعبة، سواء أكانت قرابة أم صداقة أم محسوبيات، كي يعزز من صورته. إن امتلاك الزاد المكون من العلاقات مع النظام السياسي والاقتصادي يسبغ على رجل الشرف داخل المافيا درجة عليا من الرفعة.

تشكل الهيبة جزءًا رئيسًا من دور رجل المافيا الذي يرى في علاقاته قوة دافعة لمكانته داخل التنظيم. وحينما يقوم رجل المافيا بتكوين الـcosca، فإنه يبدأ في نسج خيوط علاقاته مع الشخصيات المتنفذة داخل الأوساط الاقتصادية والاجتماعية والقانونية، وكذلك المسؤولون في الدولة، حيث يبذل كل واحد مستطاعه لشرعنة وضعه.

إحدى الخصال الأخرى المهمة في رجل الشرف هي «القيمة»، فعلى سبيل المثال: يعدّ القاتل البارع رجلاً ذا

تحول تعبير مافيا ليصبح متداولا للإشارة إلى أفراد متكبرين وعنيفين مرتبطين بعلاقات غامضة، مستعدين لارتكاب أي فعل حتى ولو كان إجرامياً. ومع نهاية القرن التاسع عشر رسخت كلمة المافيا أقدامها كمرادف للتجبر، وللسلطة الموازية





اعتقال أحد أعضاء المافيا ومقتل آخر

وفي خلال عملية الانتساب، يجري تبني الرموز عبر أخذ قطرات من دم المنتسب؛ تعبيراً عن واقع الجريمة المنظمة، وتصفية الخائن. إن الانتماء إلى التنظيم المافيوي يعد تجربة فريدة تمد صاحبها بشعور من الهيمنة والسمو؛ إذ تصبح عقليته أكثر تشربًا لمبادئ العمل الإجرامي المافيوي وطرائقه.

هكذا، يتم نقل المنتسب إلى مكان منعزل، بحضور ثلاثة رجال شرف أو أكثر من العائلة نفسها، حيث يشرح الرجل الاكبر سناً دواعي وجود هذا الشيء (أي: المافيا) التي تتمثل في حماية الضعفاء، والقضاء على الجور. فيما بعد يثقب إصبع من يد المنتسب لتتسكب قطرات الدم على صورة مقدسة. يتم وضع اليد على الصورة المقدسة بعدما جرى إحراقها، ويبدأ المنتسب بأداء اليمين، متعهداً صون مبادئ «كوزا نوسترا» بالقول: «فليحترق لحم جسدي مثل هذه القديسة إذا لم أحفظ عهد هذا القسم..».

الاغتيالات المافيوية

إن خصوصية الثقافة والنظام المافيويين تتبدى بوضوح من خلال تحليل ظاهرة الاغتيالات، التي تعكس بنية هيكلية فريدة، نتيجة ارتكابها من جانب المافيا.

قيمة؛ لأنه مثال يحتذى في الجسارة والإقدام والحزم.

وابتداءًا من اللحظة التي يتم فيها انتساب رجل الشرف إلى التنظيم، يبدأ في إدراك أنه فقد جزءاً يسيراً من ذاتيته لمصلحة عالم يكون فيه لقيد الانتماء القوة الغالبة إزاء كل القيود السابقة.

بهذا الأسلوب يتم اكتساب الاعتبار على المستوى الاجتماعي، الذي يمثل أساس حركة رجل المافيا ودليله إلى أن يرتقي بالوصول إلى قمة التنظيم.

هناك نظريات مختلفة ترى أن كلمة مافيا ذات جذور عربية وأن أصل الكلمة يعود إلى mahios الذي يعني في اللغة الإيطالية المتبجح. وهناك نظريات أخرى تعتقد برجوع أصل الكلمة إلى Maafir. وهو اسم إحدى سلالات السارزان العربية التي حكمت باليرمو

وجريمة القتل المافيوية استعراضية بامتياز؛ لأنها تبعث برسالة، غالبًا ما تحمل في طياتها معنى التحذير.

ويمكن تقسيم الاغتيالات ذات الطابع القديم إلى نوعين وفق المخالفة التي تم ارتكابها:

- ترك جذع نبات الصبار مكان حافظة النقود لمن أخذ مالاً من المافيا.
- ترك حصاة في الفم لمن انتهك قانون الصمت والكتمان، وعملة نقدية داخل قبضة مغلقة لمن تجسس مقابل المال، وتقطيع الأعضاء التناسلية لمن وجه الإهانة لامرأة جديرة بالاحترام.
- سمل العيون، ثم وضعها في يد الضحية، إذا كان قد شاهد ما لا تجب مشاهدته.

مع ذلك فقد طرأ أخيرًا تغير واضح على الأسلوب الذي تتم على أساسه الاغتيالات :

- البندقية البيضاء حيث يتم دفن الجثة في أعمدة الإسمنت المسلح أو رميها في أماكن تصريف النفايات
- اذابة الجثث في سوائل أسيدية، ومسدسات كاتمة للصوت.
- استخدام متفجرات، كالسيارات المفخخة او الديناميت.

والمشهد التاريخي مهم جدًا؛ أي: الدائرة الإجرامية، أو الإطار الذي ترتكب فيها الجرائم المافيوية. واغتيالات المافيا لا تتم في ظل تصور يمكن أن يطال واقعة تتعلق بتضارب للمصالح، أو سلطات اتخاذ القرار الذاتي فحسب، بل إنها تعكس، من خلال عملية اتخاذ للقرار وتنفيذه، البعد الفردي الصرف للتنظيم، الذي يشكل الأداة الطيعة التي تستطيع المافيا بواسطتها أن تثبت وجودها، وتحقق مكتسباتها في ظل الوسط الاجتماعي. المافيا تلجأ إلى القتل حينما تعتقد أن الاغتيال ضروري للذود عن مصالحها. وهذا المعنى يتبدى بجلاء في جميع مراحل اتخاذ القرار المافيوي الإجرامي.

لقد أماطت دراسة، تناولت أساليب الجرائم المافيوية وأسبابها ومراميها، اللثام عن أنواع مختلفة

الدم والعنف مرتبطان بالمافيا





للاغتيال المافيوي؛ وذلك على النحو الآتي :

- جرائم القتل المافيوية الداخلية التي ترتكب ضمن البيئة المافيوية في إطار صراعات أو ثارات دموية.
- جرائم القتل المافيوية الخارجية التي تقسم بدورها إلى عدة شرائح :
- قتل المتعاونين مع العدالة وأقاربهم.
- قتل العاملين في الفعاليات الاقتصادية.
- قتل الشخصيات البارزة في عالم الجريمة العادية.
- قتل الشخصيات الرسمية البارزة.

في مرحلة اتخاذ القرار تعدّ صفة الضحية المعيار المحدد للمستوى الرسمي للخيار الواجب؛ تبنيه؛ وذلك بعد تقويم معمق للتكاليف والمنافع المترتبة على العمل الإجرامي؛ وهذا في حد ذاته يعدّ نوعاً من دراسة «جدوى اقتصادية» لكل حالة معروضة للبحث.

يحق للجنة فقط أن تناقش، وأن تأذن بتنفيذ جريمة القتل، التي تطال شخصيات رسمية تمثل الدولة، أو قطاعات مهنية، لما يمكن أن تولده مثل هذه التصرفات الخطيرة من ردود فعل من جانب أجهزة الدولة.

ويدخل في اختصاص اللجنة أيضاً حقها في حسم القرارات المتعلقة باغتيال رجال الشرف؛ وذلك لأن هذا الجهاز القضائي المتنفذ هو الأقدر على نزع فتيل أي شرارة للثأر بين العائلات، من شأنها أن تزعزع استقرار التنظيم بأسره.

يخضع تنفيذ الاغتيالات الاعتيادية؛ أي: تلك التي تطال أشخاصاً من خارج التنظيم، للحكم المسبق لجهاز قضائي أقل مستوى، إذ يمكن أن يتخذ قراراً فيها حتى رؤساء العائلات في إطار إدارتهم للأراضي التابعة لهم.

بوسع رجل الشرف أيضاً أن يقرر ذاتياً تنفيذ أي عملية اغتيال، إذا ماكانت معللة بأسباب مرتبطة بمصالح شخصية، دون الرجوع إلى أمر بهذا المعنى، ودون أن يحصل على الإذن من الجهاز المختص.

إن البعد الفردي الصرف لعملية القتل واضحة، حتى في أسلوب ترتيب وقائع التنفيذ، حين يرى القاتل نفسه امام مجموعة من رجال الشرف، كل واحد منهم ينتمي إلى عائلة مختلفة.

وعادة تكون الأدوار والمهام محددة ودقيقة،إذ يكلف أحدهم بدراسة طبائع الضحية، وآخر باستغلال ثقة الضحية واستدراجها إلى الكمين، وثالث بسرقة السيارات التي ستستخدم في العملية، ثم إخفائها، بينما يتولى آخرون مهمة تحضير مسرح الجريمة ، بالإضافة إلى مهمة إخفاء أسلحة الجريمة قبل العملية

أدوار محددة لكل عضو في المافيا





أساليب مختلفة للقتل

نجاح العملية على عاتق التنظيم بكامله ، وهو ما يجعل الأفراد المشاركين يمارسون نشاطًا إلزاميًا، يجردهم من أية مصلحة شخصية.

وهناك فرضيات مختلفة حول آلية التنفيذ، منها - على سبيل المثال - حينما تقوم اللجنة بإبلاغ رئيس العائلة قرار الاغتيال، الذي سيتم على الأراضي، التي يديرها، كي يتسنى له اتخاذ الإجراءات الملائمة من قبيل تحذير الهاربين أو الناشطين في المجال الإجرامي ضمن المنطقة التي ستكون مسرحاً للتنفيذ.

ومن الفرضيات الأخرى هناك أيضًا القتل، الذي يدخل في نطاق الإدارة الاعتيادية للأراضي الذي يجب أن يجري في أراض تابعة لسيادة عائلة مختلفة. في هذه الحالة على رئيس العائلة المعني أن يستصدر إذنًا من نظيره الذي تقع تحت إدارته الأرض/ مسرح الجريمة، وإلا فإن هذا الأخير يمكن أن يقوم هو نفسه من خلال جماعته الضاربة بتنفيذ الجريمة لحساب المتقدم بالطلب.

إن التعمق في الطابع الدموي للمافيا أفسح المجال لمعرفة أن الخنق هو إحدى التقنيات المفضلة في تصفية الخصوم. والأشخاص الذين تعتقد الضحية أنهم محل للثقة يقومون بالتقرب منها، ومن ثم استدراجها إلى مكان ملائم للتصفية ، ليتم فيما بعد مفاجأة الضحية دون ترك أي آثار عادة تميز الأسلحة النارية.

أما أقارب الضحية الذين شاهدوه يبتعد بهدوء، فيقومون في الحال بإبلاغ السلطات عن فقدان عزيزهم، لكنهم يتركون للقتلة دون أن يدروا الوقت اللازم كي يخفوا الجثة، بينما تسير التحقيقات ببطء فاضح.

بعد عملية الخنق بالحبل تربط الجثة داخل كيس للنفايات يوضع في الصندوق الخلفي للسيارة المسروقة.

وتعدّ تقنية incaprettamento أوالقتل كالشاة إحدى

وبعدها، وصولاً إلى القاتل الفعلي الذي عادة يكون محترفًا، ويتمتع بجاهزية إجرامية متميزة جدًا.

تجدر الملاحظة إلى أن السواد الأعظم من المشاركين ليس لديه أية مصلحة شخصية في ارتكاب جريمة القتل. بعد الحصول على إذن بالتنفيذ، يقع واجب ضمان

شهدت الحقبة الفاشية (١٩٢٢- ١٩٤٣م) مرحلة من التصادم بين الدولة من جهة والسلطة المافيوية من جهة أخرى. لكن ذلك لم يمنع المافيا على أية حال من البقاء حية. إذ لم يتم اعتقال القياديين الذين ظلوا متخفين بانتظار أوقات أفضل



من فيلم كارتوني عن المافيا

الطرائق للتخلص من الضحية، إذ يتم ربط الأيدي والأرجل خلف الظهر بحبل يمر حول العنق؛ مما يتسبب بالاختناق الذاتي. وهذه التقنية تسهل وضع الجثة في الكيس، لكنها بالتأكيد أسلوب، يود من خلاله القتلة أن يبعثوا برسالة ترهيب للسكان تحمل في طياتها العنف والقسوة.

وتقنية «الأسيد» مستخدمة كذلك في إذابة جثث الضحايا. وفي هذه الحالة أيضًا يتم المزج بين تقنية عالية الحرفية، ورغبة في إشاعة أجواء من الرعب. هكذا تنقل الجثث إلى أحواض تحتوي على الأسيد لإذابتها حيث لايبقى منها سوى المتعلقات المعدنية من ساعات معصم أو مقتنيات شخصية قيمة، يصار إلى التخلص منها في وقت لاحق.

يحدث في بعض الأحيان أن تدفن الجثث بعد أن تغطى بالأملاح الكيماوية في مناطق نائية تكون تحت سيطرة رجال الشرف، أو أشخاص تحت التصرف.

الوجه المسلح والعنيف لـ "كوزا نوسترا" تغير ليصبح متسمـاً بالحوار والمساومة. وفق تقليد عزيز على قلوب القياديين. الذين ترعرعوا في حقبة الستينيات. وهذا كله كان نتاج عملية إعادة هيكلة داخلية للتنظيم من خلال توزيع أشمل للوظائف بين العائلات والعصبات



عادة تكون الأدوار والمهام محددة ودقيقة، إذ يكلف أحدهم بدراسة طبائع الضحية، وآخر باستغلال ثقة الضحية واستدراجها إلى الكمين. وثالث بسرقة السيارات التي ستستخدم في العملية، ثم إخفائها

ومن التقنيات الأخرى المنتشرة هناك الأسلحة النارية التي تستخدمها فرق إجرامية محددة. في هذه الحالة يلعب زعيم المجموعة دور المنسق للعملية عبر تواصله مع الأوامر المتلقاة من اللجنة خلال المرحلة التحضيرية يكلف بعض الأعضاء بدراسة طبائع الضحايا والأماكن التي يرتادونها، بحيث يمكن تنفيذ العملية بأقل المخاطر الممكنة. يعهد إلى رجال شرف آخرين أو إلى أشخاص تحت التصرف مهمة جمع المعلومات عن الضحية في حال كانوا يعرفونها أو يقطنون في الحي نفسه، لكي يتمكنوا من متابعة تحركاتها دون إثارة أدنى قدر من الشكوك. يسبق اختيار مسرح الجريمة تحريات ودراسات في سبيل التنظيم اللوجيستي للعملية.

يتم إخفاء الأسلحة لأشخاص جديرين بالثقة من داخل المنظمة، وتحفظ في أماكن بعيدة عن نقاط سكن أعضاء التنظيم أو أماكن يترددون عليها، درءًا لإمكانية العثور عليها في حال وقع تفتيش مفاجئ.

يطلق على المعلومات المتعلقة بتحرك الضحية تعبير La Battuta التي على أساسها تتحرك مجموعة التنفيذ، التي تقسم نفسها إلى عدة فرق، مستخدمة الدراجات النارية، أو السيارات التي عادة تكون قد سرقت قبل سويعات من التنفيذ، حيث يجري حرقها، أو إخفاؤها فيما بعد.

التواصل بين أعضاء فريق العمل يجري من خلال اللاسلكي، أو الهواتف النقالة، إذ يتبادلون المعلومات الخاصة بتنقل الضحية، وأماكن توقفها، مع حرصهم الشديد على تجنب عمليات التنصت لقوى الأمن. وفي مكان غير بعيد عنهم يوفر أفراد آخرون من التنظيم الغطاء والدعم. في غالب الأحيان تتبع مجموعة في سيارة نظيفة فريق العمل المنفذ تسهيلاً لعملية الفرار.

البنية الاجتماعية لصقلية وازدواجية معاييرها الأخلاقية

لطالما اتسمت البنية الاجتماعية في صقلية بضعف صارخ وما ترتب على ذلك من شيوع عدم الثقة بين السكان تجاه أجهزة الدولة، وهو ما أدى إلى انحيازهم نحو المنظومة غير الرسمية، المتمثلة في مؤسسات ذاتية التوجيه، والإدارة تتبع منهج الولاء العائلي والمحسوبيات. وهذا يتجلى في القدرة على عدم الإخلاص للدولة، في الوقت الذي يتم فيه تبني سلوك تغذيه أهداف محددة، وهو ما يعدّ نتاج التاريخ الصقلي.

لم تكن صقلية قط عنصراً فاعلاً في صناعة تاريخها، إذ ظلت مسرحًا للفتوحات، خاضعة للتغيرات المختلفة. البعد عن مركز اتخاذ القرار وتغيره، لم يسمحا للشعب الصقلي بالتكيف مع المسكين بزمام السلطة.

وعلى أية حال، فإن صقلية ظلت رهينة نظام حماية لم يوفر لها التمتع بالحكم الذاتي الحقيقي. كانت صقلية خلال مرحلة السيطرة الرومانية تمد الإمبراطورية بالقمح اللازم، لما يعرف اليوم بالأراضي الإيطالية. ولم يكن الفلاحون العاملون بالسخرة لدى كبار الملاكين سوى عبيد بكل ما تعنيه الكلمة، إذ شكلوا

محتفظين بالموارد الأعظم من سكان الجزيرة. كان العبيد يعيشون في صدام مستمر مع السلطة. وهكذا وجد إلى جانب العبيد مجموعات من الفارين وطالبي اللجوء أيضاً. وفي مرحلة لاحقة بدأ يتغلغل في أوساط العبيد العديد من البربر أو المسلمين الذين دفعهم النورمانديون والسويفيون إلى داخل صقلية الغربية. لهذا السبب أطلق على المنطقة التي قطنها العرب اسم [illegible] وفق وثيقة ترجع إلى العام ١٢٢٦م تشير إلى انتشار السكان المسلمين في ثلاث مناطق التي تعد اليوم أراضي محافظات باليرمو و[illegible] وترباني. كان هؤلاء يتوارثون بعض القيم والقواعد المحددة



الأسلحة النارية تلازم المافيا

للدولة على الحماية. إلى يومنا هذا مثلاً نجد [illegible] المستمر، والأوضاع المعيشية غير المستقرة اقتصادياً، والخصوصية المرتبطة بكل النظم الاستثنائية الحكومية. بعد مرور ردح من الزمن تم حسم بعض دوافع [illegible] على قيد الحياة في التطور والاستمرار.

ومع مضي القرون سعت بعض الحكومات المتعاقبة وبعدها في ترسيخ استقلالية القوى المحلية المتمثلة في البارونات وجعلها الآمر الناهي. ولم تكن الطبقة السفلية النبيلة معنية كثيراً بموضوعة [illegible] في تلك الحقبة.

كان للبارون سلطة قاطعة ليس فقط على التابعين له في الإقطاعية بل على الفلاحين الذين على الرغم من كونهم أحراراً في الظاهر إلا أنهم كانوا مقيدين بعقود مجحفة أبرموها معه. كان [illegible] المناصرون للاستقلال الاقتصادي، و[illegible] بشخص وجاه، مستحقين دوماً [illegible] ردود فعل سلبية عبر خضوع يتسم بالرضا والتفاهم.

في نهاية القرن الثامن عشر بدأت أولى محاولات مؤسسات الدولة دمج تلك القوى.

يوضح الرد الاطلاع على محتويات محافظة باليرمو التي تحتوي على بعض الشهادات التي تلقي الضوء على تلك الحقبة، عن قبول الرسالة الموجهة إلى محافظ

إن أول مرة ظهرت فيها كلمة المافيا كانت في باليرمو [illegible] ووثيقة تعود إلى عام ١٨٦٥م، وذلك في مذكرة رسمية تحتوي على قائمة بأسماء بعض المطلوبين [illegible]

شخص من مشايخ العلويين (٢٦)، هذا السلوك العثماني العنيف هو الذي سبب خلق حالة عداء ظاهرة ومستترة بين المغاربة والأتراك، يقول ثربانتس: «وبينما كنا نتحدث على هذا النحو، شاهدنا مغربيًا يجري مسرعًا، ويصيح قائلاً: إن أربعة أتراك قد تسلقوا سور البستان، ونهبوا الفاكهة مع أنها ليست ناضجة، فاضطرب الشيخ وابنته لهذه الكلمات؛ لأن المغاربة بطبعهم يرهبون الأتراك رهبة شديدة، وخصوصًا الجند منهم، والجنود الترك في غاية الوقاحة، ويعاملون المغاربة بمنتهى العجرفة، وكأنهم عبيدهم (٢٧).. وما أجج عداوة الإسبان أكثر تجاه الأتراك ليست قسوتهم على المغاربة والسكان الأصليين في الجزائر، بل إسرافهم في قتل الإسبان ومطارداتهم لهم المستمرة، ومن تلك المطاردات ما يذكره ثربانتس عن عملية القرصنة التي تعرض لها قارب إسباني، إذ قام تركيان مخموران فأطلقا الرصاص من (أسكوبتهما) على جنديين إسبانيين على الإفريز فقتلاهما، .. قال للفتى: بارنيس هل أنت تركي العنصر مسلم أم مرتد؟ فأجاب الفتى باللغة الإسبانية: لا هذا ولا ذاك، فمن أنت إذن؟ أنا امرأة ونصرانية (٢٨)، ولعكس صورة الآخر جليًا في المخيال الإسباني يضيف ثربانتس: لأن الأتراك الهمج يولعون بالشباب الجميل أكثر من ولوعهم بأجمل فتاة في الدنيا (٢٩)، ولهذا السبب وغيره من الأسباب التي تجعل من التركيين، وقحين جشعين، أمر القاضي بشنق التركيين اللذين قتلا الجنديين الإسبانيين، شنقهما في الدقل، لكن نائب الملك طلب العفو عنهما، قائلاً: «إن فعلهما يدل على الجنون أكثر مما يدل على التهور، فوافق القائد؛ لأن الرغبة في الانتقام اختفت بزوال الغضب» (٣٠).



في كليلة ودمنة ودون كيخوته لايتحمل المؤلف مسؤولية

هذه المفاصلة القومية التي يقدمها صاحب الحكي بين العنصر التركي المسلم والعنصر المغربي المسلم أيضًا لا تقوم على مفاضلة في الخير والقرابة، بل هي قائمة على مفاصلة في حدة الشر والنفور؛ لأن المبدأ العام الذي كان يؤطر الحركة الكاثوليكية حينها يتلخص في مقولة «الكفر ملة واحدة»، إذ إن حدة الأتراك وبشاعتهم لم تكن تعني خفة المغاربة ومحبتهم، وبناء عليه لم تكن صورة المغاربة بأحسن من مثيلتها التركية..

الأعمال الأدبية لا تقاس بثنائية الصدق والكذب. فما خالف الواقع والعقل ليس بالضرورة كذبًا، وما اعتمده ثربانتس هو الخيال المبدع، أي الحبكة التي لم يسبقه أحد في صياغتها

«انظروا الآن هذا المغربي الذي يسترق الخطا كالذئب، وإصبعه في فمه، خلف «مليساندره» ويفاجئها بقبلة، وانظروا كيف تبصق، وتمسح فمها بكم قميصها، وتشكو، وتنوح، وتشد شعرها الجميل كما لو كان هو السبب في هذه الإهانة» (٣١) هكذا يبدو المغربي المسلم المخل بالآداب العامة التي تتناقض حتى مع الدين الإسلامي، الذي يعد كفرًا في نظر الراوي، لكن هذه الصورة ستجد من يزيل بشاعتها، وهذه المرة من مغربي آخر مستقيم... و«انظروا إلى هذا المغربي، الوقور في هذا البهو إنه «مرسليو» ملك «سنسونيه» الذي شاهد وقاحة المغربي فأمر حراسه بأن يقبضوا عليه، على الرغم من أنه قريبه وخليله، ويأمر بجلده مئتي جلدة، وأن ينادى عليه في الشوارع (٣٢) غير أن هذه المنقبة تتحول بسرعة إلى مذمة، والمشاهدة التي كانت تعديلاً تصبح تجريحًا بعد تنفيذ الحكم، يقول: انظروا إلى الحرس يخرج لينفذ الأمر على الرغم من أن الجريمة لم ترتكب إلا منذ وقت قصير جدًا؛ لأنه عند المغاربة لا يوجد استخبار ولا تحقيق أدلة، كما عندنا» (٣٣) أي أن الشهادة كانت إيجابية حينما كانت داخلية مغربية، أما حينما تقرن بالذات المسيحية فتصبح ناقصة وسلبية، لكن تدخل دون كيخوته كان في محله، حينما نهر الراوي الصبي الذي كان يقدم عرضًا مسرحيًا عن التاريخ قائلاً: يا ولد تابع تاريخك في خط مستقيم دون أن تنحرف في طرق جانبية ملتوية لإيضاح واقعة، لا بد غالبًا من معلومات وأدلة، فقال المعلم بطرس (من خلف الستارة): السيد (دون كيخوته) على حق، افعل ما يقولون، لا تبد تأملات، تابع النغم المستوي دون أن تتوقف عند الطباق، فهو أمر دقيق جدًا (٣٤) والأمر الجدير تسجيله في هذا السياق هو ذلك التعدد والتنوع في الأصوات ووجهات النظر داخل الرواية؛ وهذا ما يشفع للروائي، ويجعل له مخرجًا في موقفه تجاه الآخر، أو ما يمكن تسميته حوارية بالمعنى الباختيني، ولو أن للنسبة الكمية الهزيلة في نوعية المواقف والآراء قيمتها، أي أن نسبة الإدانة والتهجم على الآخر هي القاعدة في الرواية، وصوت التسامح هو الاستثناء، وصوت الإدانة تعددي في وحدة الكراهة؛ أي: أن الراوي يوزع ألسنة الشتيمة على شخصياته، بما في ذلك الشخصيات التي كانت تنتمي إلى حقل الآخر، وأصبحت الآن في عداد المهتمين، وهذا ما عبرت عنه «للأثرياء» بقولها: «سادتي إني بنت لأبوين مغربيين من تلك الأمة التي كان حظها من البؤس أكثر من حظها من الفطانة، والسماء منذ مدة تصب عليها بحارًا من المصائب - أتى بي اثنان من أعمامي إلى بلاد البربر (المغرب) دون أن يفيدني شيء أن أقول إنني نصرانية، وأنا بالفعل كذلك» (٣٥)، وهذا ما عبرت عنه للأثرياء Zoraida نفسها، قبل هذا وهي توصي الأسير «لا تثق بأي مغربي فسيخدعونك جميعًا، وهذا يثير همومًا» (٣٦).

لم تكن صورة المغاربة أفضل في شعور وعيون الإسبان من غيرها، ولعل هذه النصوص التي نستخرجها من «دون كيخوته» وهي تحيل إلى مستويات الكراهية تعد من باب تحصيل الحاصل في العلاقة بين الإسبان والمغاربة وهي تحمل كتلاً من التراكمات

الموقف العقائدي المتصلب أهدى لنا وثائق في غاية الأهمية عن لباس المرأة المغربية وحليها، وأدوات زينتها، وهذا ما أذهل لوسنده ودوروتيه فسألته دوروتيه: قل لي يا سيدي: هل هذه السيدة نصرانية أم مسلمة؟

ومساحة شاسعة من المنازعات، فصورة المغربي كانت وما زالت تثير الهلع في الوجدان الإسباني، ولو تبقى من هذه الصورة غير الزي المغربي، يقول الراوي... «لما شاهد الراعي ثريا والمهتدي (المرتد) بزي مغربي هرب بأقصى سرعة إلى الغابة؛ لأنه ظن، كما عرفنا فيما بعد، أن كل البربر المغاربة يطاردونه، جرى وهو يصرخ إلى المغاربة إلى المغاربة! المغاربة قدموا إلى البلاد!» وليس من تفسير لهذا الهلع سوى إعادة تاريخ دخول المسلمين إلى الأندلس، وما تلا هذا الدخول من معارك طاحنة بين الإيبيريين والمسلمين كانت ثمرتها إخراج المسلمين من هذه البلاد، وتلا ذلك جو من الإرهاب المتبادل، وعدم الثقة والخوف من الآخر، الذي امتد بالمؤلف إلى التشكيك في «المؤلف الثاني» لهذا الكتاب، لكنه تأسف من ناحية أخرى حين رأى أن مؤلف تاريخه رجل مغربي، كما يدل على ذلك اسم «سيد»؛ لأنه كان يعتقد أنه لا يمكن أن ينتظر من مثله أن يقول الحقيقة؛ «لأنهم جميعًا كذابون، خداعون مزيفون» (٣٧)، ولهذا فإن «فيليب الثاني» كان محقًا في عمله العظيم؛ أي: طرد المسلمين من إسبانيا، حسب ما قدم المؤلف على لسان «ريكوتيه» حينما أراد «أنطونيو»، ونائب الملك البحث عن وسيلة للحصول على إذن لبقاء «أنه فليس» وأبيها في إسبانيا، فقال «لا، لا أمل من وراء المال ولا الشفاعات،

فلا قيمة لها في نظر «برنردينودي بلاسكو كونت سيلثار»، الذي كلفه الملك بالإشراف على طردنا من إسبانيا، وعلى الرغم من أنه جمع الرحمة والعدالة، فإنه وقد رأى جسم أمتنا كله مصابًا «بالغنغرية»، يفضل استعمال الحجامة التي تحرق على المرهم الذي يخفف؛ ولهذا فإنه بفطنة وحكمة واجتهاد، ومستعينًا بالمهابة التي يثيرها، أخذ على عاتقه القوي تنفيذ هذه العملية الكبيرة، دون أن تستطيع حيلنا ومكايدنا ومناوراتنا وخططنا، ومجهوداتنا، وكل اجتهادنا أن ينيم عينيه الساهرتين المفتوحتين دائمًا حتى لا يبقى أحد منا، ولا يختبئ مثل النبات المختبئ، الذي مع الزمن يمكن أن يتكاثر، وينتج ثمارًا سامة في إسبانيا، التي تخلصت اليوم من كل خوف من ناحيتنا، إنه قرار هائل من فيليب الثاني العظيم، وفطنة بالغة أن وُكل إلى «بلاسكو» العاقل مهمة تنفيذه» (٣٨)، وكان هذا الموقف قد أثار المترجم عبدالرحمن بدوي فعلق قائلاً: وشهد شاهد من أهلها، فضلاً عن التعصب البشع الذي يبديه «ثربانتس» في كل ما يتصل بهذه الناحية، وكان الأولى به أن يدافع عن هؤلاء الأبرياء الذين أجلوا عن ديارهم - نعم ديارهم رغم أنف «فيليب الثاني» الأجنبي العنصر، إذ هو من «آل هسبورج» النمساويين، وحفيد المجنونة «حنة» بنت «إيزابلا»، فهو طارئ مغتصب أجنبي عن إسبانيا، بينما أولئك المسلمون استقروا في إسبانيا ثمانية قرون بل تسعة، إذ بقوا حتى صدور هذا القرار الإجرامي بطرد من بقي من المسلمين، وقد أصدره خلفه «فيليب الثالث» ابنه في عام ١٦٠٩م فهاجر الموريسكيون (٣٩)، وتعليق الدكتور بدوي هذا ينطلق من الارتباط العاطفي بالمسلمين، لكنه يعاني غياب الواقعية؛ لأن المعيار الذي تعامل به الإسبان، لم يكن معيارًا قوميًا حتى يفضلوا الموريسكيين على «آل هسبورج»، بل كان المعيار دينيًا؛

في الجزء الثاني من دون كيخوته تشتعل شرارة الحرب العقائدية أكثر فأكثر؛ وذلك يعود إلى عدة أسباب. منها أن كثيرًا من أحداث هذا القسم الثاني ذو علاقة مباشرة بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط؛ أي: الضفة المسلمة

ولذلك بما أن «فيليب» كان يمثل الشرعية الدينية الكاثوليكية، فإن انتماءه القومي لا يهم؛ لأنه يمثل لهم عنوانًا للخلاص والحماية الدينية، أما المسلمون، وإن كانوا إسبانًا بالقومية، فإنهم كانوا يمثلون مصدر «التهديد العقائدي»، للمجتمع الإسباني حسب تصورهم، وإلا كان هذا النهج أولى بالتطبيق على الأتراك في الجزائر، مع



جامعة شلمنكة



لوحة فنية عن دون كيخوته

فارق في التعامل؛ أي: أن قسوة فيليب كانت موجهة نحو الآخر العقائدي، أما الأتراك فإن قساوتهم لم تميز بين العدو العقائدي والصديق العقائدي أيضًا!!

العصر الوسيط الإسباني بين الظلامية والذهبية

يعلق المترجم الفرنسي «ديلونيه» على كلام «ريكوتيه» السالف الذكر، قائلاً: «من الغريب أن يوضع هذا الثناء المبالغ فيه على لسان المغربي، وإنه لشاهد بائس على عبودية الفكر في هذا العصر المتوحش» (٤٠)، وموقف «ديلونيه» هذا لا يمكن الأخذ به أو التسليم له من دون مناقشة، إذ كيف يمكن تسمية هذا العصر بالمتوحش وعبودية الفكر، مع ما



معبد يهودي

يحمله الكتاب من أعمال أدبية في جل التخصصات ترقى إلى مستويات عليا من جانب قيمتها وتألقها، ولا يفوتنا القول: إن هذا الموقف لا يمكن فصله عن الموقف الفرنسي العام، الذي كان يحتقر الثقافة الإسبانية، ويدعو إسبانيا إلى ضرورة الالتحاق بأمجاد أوروبا، حتى تخرج من ظلاميتها وقد قدم «صمويل بنتام» في مقدمته «لدون كيخوته» رأيًا كفيلاً بنقض هذا الرأي الفرنسي، في قوله: «لقد حدث الكثير من سوء الفهم في الماضي حول سمة النهضة الإسبانية، وكان مرد ذلك إلى سعي المؤرخين الأدبيين الوطنيين والمتحاملين وغير المؤهلين على الأغلب لجعل الحقائق متطابقة مع النظرة المتبناة مسبقًا، فإسبانيا الكاثوليكية، كما قيل لنا، وقفت ضد النهضة وإعاقتها بمحاكم التفتيش والمراقبة، التي قمعت كل حياة ثقافية، ونشاط إبداعي، بينما يكفي إيراد الأسماء وحدها للتدليل على أنها كانت الحقبة الأكثر غنى في تاريخ إسبانيا كله» (٤١)، بهذا يكون «صمويل بنتام» قد رد الاعتبار إلى النهضة الإسبانية، وأنصفها تجاه الآراء التي تصور النهضة الإسبانية التي كان يطلق عليها العصر الذهبي Siglo de oro بأنها منمنمات لا قيمة لها، وخلفية هذا الرأي ليست علمية على الإطلاق، بل تنطلق من نزعة معادية للكاثوليكية، وأغلب منابعها يهودية وعربية وبرتستانتية، أي تلك القوى التي كانت ترى أن مذهبها وسياقها المعرفي هما الأكثر تضررًا في تلك الحقبة، فلا يمكن استصدار أحكام إيديولوجية تحت غطاء الإبستمولوجيا تجاه تلك الحركة الفكرية التي اختارت، أو اختير لها الخيار الكاثوليكي، وهذا العصر الذي أنجب «جونجورا» و«لوبي دي بيكا» و«الأركون» و«ترسودي مولينا» و«هرتادودي مندوثا»، لا يمكن أن يكون ما عبر عنه «ديلونيه» بأنه عصر متوحش عاش فيه الفكر عبوديته (٤٢) إن الذين أرادوا تسويد وجه النهضة الإسبانية الوسيطة يميلون إلى فكرة النهضة المستنسخة ذات الوجه الواحد، وهم بذلك يضربون ذلك الاختلاف العميق الجذور «بين الروح النهضوية، كما تتجلى في شبه الجزيرة

الإيبيرية، والأشكال التي اتخذتها في إيطاليا وفرنسا، وغيرهما، ويلخص «أوبري بيل» المسألة بشكل جيد حين يلاحظ أن إسبانيا، مثل إنجلترا لم يسيطر عليها المد الإنساني (هيومانيست)... فقد أخذت الحركة في إسبانيا سمة شعبية وقومية ذات جذور أكثر عمقًا، وكانت، مثل «سانشو بنثا» نفسه، أقل عقلانية، وأكثر واقعية في الوقت ذاته. ما يجب أن نلحظه هنا هو تمازج التيارات، وتأثير النهضة الإيطالية الذي جاء نتيجة للحروب الجنوبية، ووجد التعبير عن نفسه في الموضوع الأركادي، وفي تخيلات «غونغورا» ومقلديه. ولكن بمواكبة ذلك الأدب الأكثر صفاء وجد أدب آخر هو أدب الشعب الذي يمكن العثور عليه في el cancioneros القديمة ومجموعات الأناشيد، وقصص الفروسية، التي اكتسحت البلاد مثل الطوفان بعد بعث «أماديس الغالي» في بداية القرن السادس عشر» (٤٣) فبأي مقياس يمكن استبعاد الأدب الشعبي بوصفه رصيدًا ثقافيًا وطنيًا خلاقًا مع بروز العلوم المعاصرة ومناهجها كالسوسيولوجيا والانتروبولوجيا والأركيولوجيا والفيلولوجيا، ودراسة الأسطورة، والخرافة، فما ذنب النهضة الأدبية الإسبانية إذا عبرت عن فكرها حينها بأدبها الشعبي قبل هذه الطفرة؟! فهل يكفي أن نعتمد النظرة الارستقراطية إلى الأدب لنقصي تراثًا شعبيًا تمتزج فيه الخرافة بالأسطورة والحكمة بالدين؟! وأين نضع روائع الأدب الإسباني الوسيط، وهل نذبح هذا التراث لمجرد أن رواده كانوا من الرهبان والقساوسة الكاثوليك؟ أين نضع Raymundo Lullo صاحب كتاب Blanquerna، وكتاب الصدق والمجد والمحبة eL libro de lamado، وكتب ألفونسو العالم Al fanso el savio؟، وأين نضع أزهار الفلسفة Flores de fil-osofia «لسينيكا»، وما موقع العالم: Rabi moses sefarada الذي ألف Disciplina clericalis تعلم رجال الدين، وهو يهودي كان قد تنصر في عام ١١٠٦م، وتبناه «ألفونسو الأول» ملك أرغون الملقب بالمقاتل؟ (٤٤)، وأين نضع «الدون خوان مانويل» Don Juan Manuel ومولفاته، و«أنسلمو دي تورميدا» صاحب (مجادلة الحمار) Dispu-ta del Asno Contra Fray anselmo de turmeda، كذا، وما عرف في الأدب الإسباني حينها بقصص الصعاليك La novela Picaresca و«جراثيان» صاحب (الكريتيكون: ele-criticon) والراهب خوان رويت صاحب (الحب الطيب) el arcipreste de hita juan riuz y sulibro del buen amor قد تكون هذه الأمثلة بعيدة نسبيًا عن مرحلة ثربانتس لكنها تعد الأرضية والمنطق للعصر الوسيط، بالتحقيب الزمني المدروس، وقد تطرح هذه النماذج بعض الإشكالات، ومن أهمها ذلك التأثير الإسلامي القوي في فكر تلك الحقبة، الذي وصل في كثير من حالاته إلى حد التماهي، ومهما بلغت درجة هذا التأثير فإنها لن تنفي إسبانية هذا الفكر والأدب، حتى الإسلامي منه فإنه لا يمكن عزله عن إسبانيته وخصوصيته، وهذا ما أكده بقوة شيخ الاستعراب الإسباني «فرنسيسكو كديرة زيدين» (١٩١٧ ـ ١٩٣٦م) وتلميذه النجيب «خوليان ريبيرا» (١٨٥٨ ـ ١٩٣٤م)،

ما أجج عداوة الإسبان أكثر تجاه الأتراك ليست قسوتهم على المغاربة والسكان الأصليين في الجزائر، بل إسرافهم في قتل الإسبان ومطارداتهم لهم المستمرة. ومن تلك المطاردات ما يذكره ثربانتس عن عملية القرصنة التي تعرض لها قارب إسباني

وتعظم قيمة هؤلاء الشيوخ في تصحيح كثير من المفاهيم التي كانت خاطئة في التعاطي مع التراث الإسباني المسلم، ومنها تلك النظرة التي كانت تقضي بتنقية التراث من كل شيء يوحي إلى الإسلام، أو إلى المغرب أو إلى العرب بصلة. وهكذا تم تداول مصطلح «إسبانيا الإسلامية»، أي عدم التخلي عن التراث الإسلامي وتبنيه؛ بشرط أسبنته؛ أي: أن التراث الإسلامي نفسه هو ملك إسباني بطبيعة الأرض والبيئة والتأثير الإسباني، وكونه إسلاميًا لا ينفي إسبانيته، وهذا الخط سيرسمه بتفان كبير «آسين بلاثيوس» في رحلته مع الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي.

لقد كان الرأي الفرنسي الذي ينظر بكثير من الحقارة إلى العصر الذهبي الإسباني من العصر الوسيط حتى منتصف القرن التاسع عشر، ينطلق من تلك الفرقة التي كانت بين دول أوربا، ومن تلك البغضاء التي كانت بين فرنسا وإسبانيا على الخصوص، حينها قال الأديب الفرنسي «ألكسندرديماس» يعرض بتخلف الإسبان في ميدان الثقافة، ويشمت بهم بفقرهم في دنيا الفكر: «إن أوربا تنتهي عند جبال البرانس» (٤٥) وكانت هذه النظرة الأيديولوجية الطائفية - مع الأسف - قد انطلت على كثير من الأعلام الإسبانيين ممن كانوا يدعون إلى أوربة إسبانيا؛ أي: ضرورة التحاق إسبانيا بأوربا، وقد استمر هذا الرأي إلى حدود النكبة الإسبانية عام ١٨٩٨م، لكنه بعد (جيل ٩٨) سوف يتبدل هذا الرأي كليًا، إذ سيكتشف الإسبان خطأهم، وسيقلبون المقولة من «أوربة إسبانيا» إلى «أسبنة أوربا»، أي على أوربا أن تستفيد من عظمة إسبانيا، فأوربا بأكملها لا تساوي شيئًا أمام عظمة إسبانيا، وقد تزعم هذه الدعوة الفيلسوف الإسباني الكبير «أونا مونو»، ولا ندري بأي حق وافق الدكتور الطاهر أحمد مكي ذلك الرأي الفرنسي الجائر، حينما أتبعه بقوله: «وكانت - إسبانيا - إذ ذاك فقيرة الحاضر حقًا، عرفت التفوق الثقافي على جيرانها مرة واحدة، أيام العرب الزاهرة» (٤٦) غير أنه لا يمكن إخفاء المنطلق الأيديولوجي ألبتة من تعليق الدكتور الطاهر أحمد مكي، الذي يملك من الاطلاع على أسرار الأدب الإسباني الوسيط المعاصر أكثر مما نملكه في هذا الميدان!!.

> كان الرأي الفرنسي الذي ينظر بكثير من الحقارة إلى العصر الذهبي الإسباني من العصر الوسيط حتى منتصف القرن التاسع عشر، ينطلق من تلك الفرقة التي كانت بين دول أوربا، ومن تلك البغضاء التي كانت بين فرنسا وإسبانيا على الخصوص

خلاصة:

قد يبدو من خلال هذه القراءة المتسرعة بعض التناقض في تداول صورة الآخر في رواية ثربانتس، وتفسير هذا التأرجح بين إخراج صورة الكراهية للآخر من هذا العمل وبين الدفاع عن موقفه الكاثوليكي، وعن ذهبية العصر الإسباني الوسيط وجلال أدبه هذا ما يمكن إرجاعه إلى التناقض الذي يؤدي إلى الوحدة، لا التناقض السلبي المهم للوحدة، أي وجوب الفصل بين نظرة ثربانتس ومجتمعه إلى الآخر، وبين رؤيته إلى الأدب والدين من صميم خصوصية الزمان والمكان الذي ينطلق منه، أي من الإطار المرجعي للثقافة الإسبانية حينها، ومهما حشرنا من عبارات الشتم والإدانة التي

قالها ثربانتس في روايته تجاه المسلمين باعتبارهم الآخر، فذلك ليس دليلاً كافيًا على إدانة مسيرة ثقافة بأكملها، وليس دليلاً على إدانة ثربانتس الذي لم يزد عن نقل الواقع بتفاصيله المريرة والحلوة أيضًا، لكن ما يلفت النظر في هذا العمل هو ذلك الغياب شبه الكلي لصورة اليهود في هذه في الرواية ذات النزوع الكاثوليكي، إذ لا

وكانت هذه الشهادة ضرورية لمن يريد الالتحاق بالقوات المسلحة» (٤٨)، إن الغياب اليهودي سلبًا أو إيجابًا في النص ليثير الاستغراب والتساؤل، في ما عدا بعض الإشارات الخاطفة حين ذكر مثلاً «برأبا» بوصفه عنوانًا للشر في إحالة إلى ذلك الرجل اليهودي الذي يحكي إنجيل لوقا قصته (في الفصل ٢٣ ـ الجملة ١٩) من أنه ألقي به في



كتاب عن محاكم التفتيش


الفونسو الأول



كتاب عن الموريسكين

يخفى موقف الكاثوليك المتشدد من اليهود، ذلك ما عبر عنه «جون أورمزبي» في تقديمه لترجمته للرواية بقوله: «دون كيخوته هو الكتاب الأكثر كاثوليكية بين كل الكتب التي في العالم» (٤٧)، كما أن ثربانتس نفسه كان قد كتب من إيطاليا يطلب شهادة تثبت أنه كان من الرعية المسيحية القديمة التي ليس في عروقها أي دماء يهودية،

السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة (٤٩). هناك عدة ملفات في هذه الملحمة البطولية يمكن أن تكون مجالاً لبحث معمق، فالرواية تطالعنا مثلاً عن صور غنية عن بعض خصوصيات المغاربة، كقوله ـ مثلاً ـ وهو يتحدث عن (للأثرياء): «أما أساورها فكانت تقدر بما لا يقل عن ذلك، وكانت اللآلئ دقيقة جدًا وعديدة جدًا؛ لأن أفخر

زينة عند المغربيات هي لبس حبات اللؤلؤ، ولهذا فإن المغاربة يملكون من اللؤلؤ أكثر مما تملك سائر الأمم كلها» (٥٠)، إن لهذه الشهادة الصورة قيمتها ووزنها التاريخي، ولا يمكن أن تكون من صنع الخيال، مع أن الدكتور بدوي ذهب إلى أن قصة (للاثرياء) مختلفة، وفي مسألة أخرى يبين ثربانتس ذلك الفرق الاجتماعي بين المجتمع المغربي والمجتمع الإسباني في التعامل مع المرأة، ويلخصه في تعبير «الحاج مراد» والد (للأثرياء) حينما قال: «لا تعتقدوا أنها بدلت دينها؛ لأنها وجدت دينكم أفضل، بل لأنها تعرف أن النساء في بلادكم ينعمن بحرية أكبر مما في بلادنا» (٥١)، هكذا تبدو هذه الرواية الكشكول نصًا حيًا متعدد الاستخلاصات، ومفتوحًا على كل القراءات إلى الحد الذي يمكن أن تفسر أي أمر وارد فيه بالشيء ونقيضه، ذلك التعدد والتنوع والتناقض الإيجابي هو ما يمنح النص الاستمرارية واختراق المستقبل أمام تعدد مناهج القراءة وتنوعها.

الهوامش

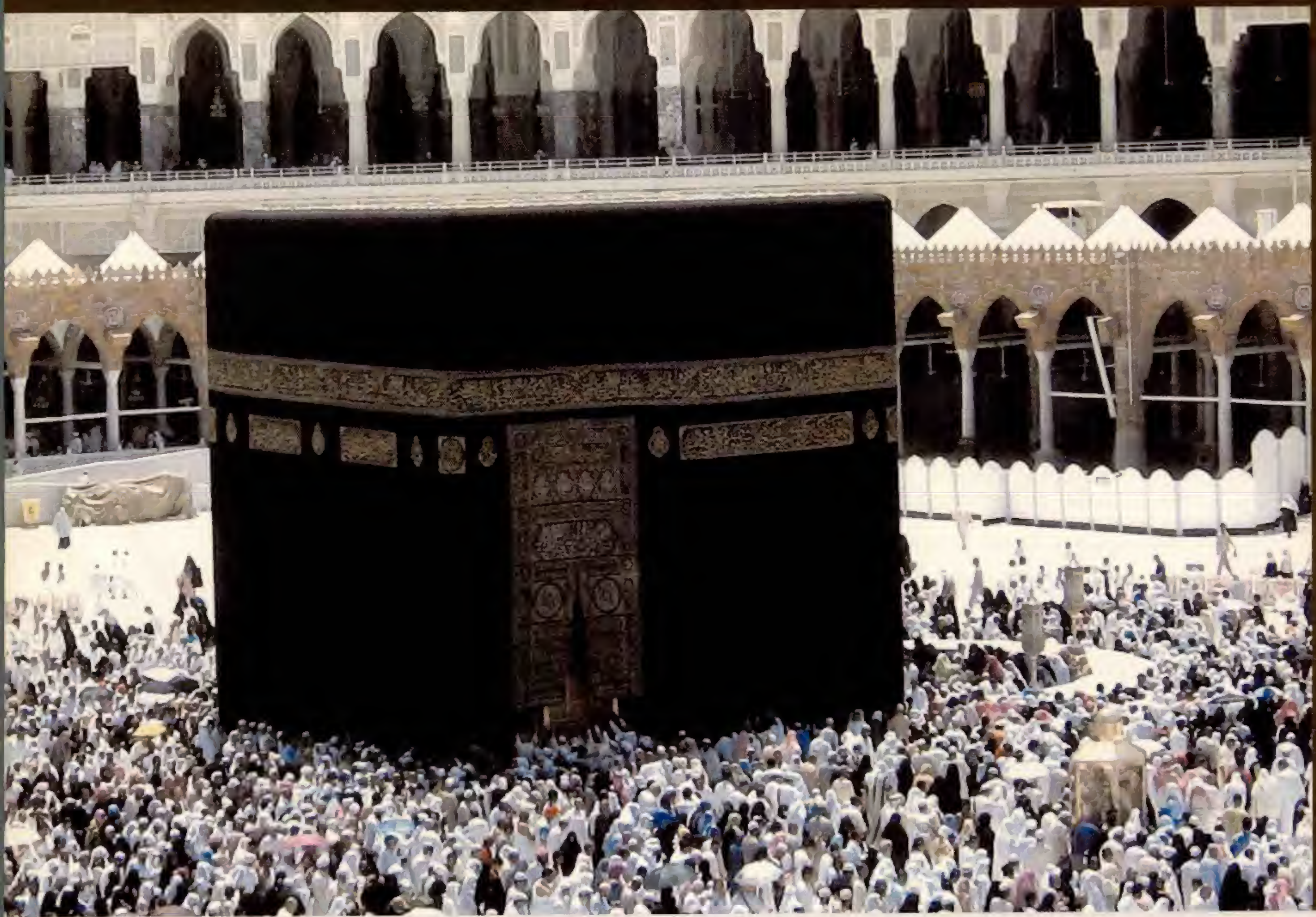
١. دون كيخوته ٢. ثربانتس. ترجمة عبدالرحمن بدوي: دار المدى للثقافة والنشر، المجتمع الثقافي/ أبو ظبي، ط١، ١٩٩٨م.
٢. دون كيخوته الحقيقة التي أنقذها الكذب: كارلوس فوينتس، ترجمة: نبيل سعيد، أخبار الأدب ٢٤ يونيو ٢٠٠١م، ص٧٢.
٣. دون كيخوته الحقيقة التي أنقذها الكذب، كارلوس فيونتس.
٤. دون كيخوته١، ص ١٦ ـ ١٧.
٥. دون كيخوته (١)، ص:
٦. دون كيخوته (١) (ص ٥ ـ ٦ ـ ٧).
٧. نفسه.
٨. دون كيخوته (١)، ص ٢٥.
٩. دون كيخوته (١)، ص ٣٤.
١٠. دون كيخوته (١)، ص٣٥.
١١. الهامش نفسه، ص٣٥.
12- Revista Awrak, Julia Ribera Matat - La mesa de salomon.
١٣. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الدكتور السيد عبدالعزيز سالم - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص٨٣.
١٤. دون كيخوته (١)، ص٧٤.
١٥. نفسه، ص٩٦.
١٦. نفسه، ص٩٦ ـ ٩٧.
١٧. نفسه، ص١٣٨.
18- La veritable histoire du Cid - recherche - Pathickhenhiet.
١٩. دون كيخوته (١)، ص ١٦٠ ـ ١٦١.
٢٠. دون كيخوته (١)، ص٢١٠.
٢١. نفسه.
٢٢، ٢٣. دون كيخوته (١)، ص٥٣.
٢٤. دون كيخوته (١)، ص٧٠.
٢٥. محمد غالب أمين الطويل تاريخ العلويين (د.ت) دار الأندلس، ص٤٠٧.
٢٦. عالم الفكر مجلد ٢٥/ ع٢ أكتوبر ـ سبتمبر ١٩٩٦م، التوظيف السياسي للإسلام ومظاهر الوحدة والتنوع في مجتمع دمشق خلال الحكم العثماني، أحمد الأصفر، ص ٣٤٣.
٢٧. دون كيخوته (٢)، ص٨٠.
٢٨. دون كيخوته (٢)، ص٥٧٩.
٢٩. دون كيخوته (٢)، ص٥٨٠.
٣٠. نفسه، ص٥٨٢.
٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤ ـ نفسه، ص٣٤٠.
٣٥. نفسه، ص٥٧٩.
٣٦. نفسه.
٣٧. نفسه، ص١٩٣.
٣٨. دون كيخوته (٢)، ص٥٩١ ـ ٥٩٢.
٣٩، ٤٠. نفسه، ص٥٩٢.
٤١. دون كيخوته (١)، ص ٣٣٢.
٤٢. دون كيخوته (٢)، ص: ٥٩١ ـ ٥٩٢.
٤٣. دون كيخوته (١)، ص٣٣٢.
٤٤. تاريخ الفكر الأندلسي أنخيل بلانثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط١، مايو سنة ١٩٥٥م.
٤٥. قصة الاستشراق الإسباني المعاصر، الطاهر أحمد مكي، مجلة آفاق عربية السنة III عدد٣، تشرين الثاني ١٩٧٧، ص٧١.
٤٦. قصة الاستشراق الإسباني المعاصر، د. أحمد مكي، ص٧١، مرجع سابق.
٤٧. دون كيخوته (١)، ص٣٢٤.
٤٨. نفسه، ص٣٢٧.
٤٩. دون كيخوته (٢)، ص٥٢٩.
٥٠. دون كيخوته (٢)، ص٨٠.
٥١. نفسه، ص٨٦.

مهنة الطوافة: النشأة والجذور

خالد بن عبدالكريم البكر

الرياض ـ السعودية

وصف الله جل ثناؤه البلد الأمين بأنه ﴿واد غير ذي زرع﴾ إبراهيم: ٣٧، فأرضه قفراء مجدبة، وسماؤه غير ممطرة، وذلكم من أسرار عبقرية المكان، ومن معاني الحكمة الإلهية التي تجلت فوق بطحاء مكة وبين أخشبيها. فقد استجاب الخالق البارئ لدعوة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم﴾ البقرة: ١٢٦، فأمن فيها الخائف، وطعم الجائع، وكثر قطينها، واتسع عمرانها، وانصرف أهلها إلى العمل بجدٍ ونشاط في مختلف نواحي الحياة. ولما كانت الصفة الدينية هي العنوان الأكبر لشخصية مكة المكرمة، فقد استنبط أهلها ضروبًا من المهن المتصلة بشعائر الدين ولا سيما الحج والعمرة، بحيث يمكن التكسب بها في أثناء الموسم، حين يفد الناس إلى البقاع المقدسة من كل فج عميق. ومعلومٌ أن الوافدين من الحجاج والمعتمرين ليسوا على درجة سواء في فقه دينهم، ومعرفة أداء مناسكهم، فقد يحتاج بعضهم إلى من يلقنه شيئًا من الأدعية



والأذكـار، وقـد يتطلع آخـرون إلى من يدلهم على المعاهد الكريمة والآثار. وفي كل الأحوال فإن الجميع محتاجون إلى من يتنقل بهم بين المشاعر المقدسة في موسم الحج. ومن هنا نشأت مهنة الطوافة التي لا يقتصر عملها على الطواف حول الكعبة الشريفة، أو السعي بين الصفا والمروة، كما قد يتبادر إلى الذهن من اشـتـقـاق الاسم؛ وإنما تشـمل أيضًـا الطواف بالحجيج حول المشاعر المقدسة. صحيحٌ أن القرآن الكريم أشار إلى الطواف حول الكعبة الشريفة، قال تعالى: ﴿وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾ الحج: ٢٩، لكنه أشار في موضع آخر إلى أن كلمة (طواف) ليست مقصورة على أداء هذه الشعيرة التعبدية، وإنما تعني التنقل من مكان إلى آخر، فقال تعالى مخبرًا عن أهوال يوم القيامة، وما أعد للكافرين من أليم العذاب: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ❁ يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ الرحمن: ٤٣ -٤٤. والمتأمل في اشتقاق كلمة (طواف) يجد معجمات اللغة تقدم أكثر من معنى مشتق من جذر هذه الكلمة



الحجاج والمعتمرون في حاجة إلى من يرشدهم

(ط. و. ف)؛ فمنها قولهم: طاف في البلاد وطوّف فيها؛ أي: سار فيها، ومنها الطوافون وهم الخدم والمماليك، ومفردها الطائف، وهو الخادم الذي يخدمك برفق وعناية. (لسان العرب (طوف) ٩/٢٢٦). والأشبه أن المعنى الأخير ينطبق على الطوافة لكون ممتهنيها خدمًا للمسجد الحرام. وإذًا؛ فالطواف مصطلح شرعي يراد به - عادة - معنى مخصوص بأداء نسك الحج والعمرة، بينما الطوافة اسم لمهنة اشتغل بها قسمٌ من أهل مكة المكرمة. لكن السؤال المركزي هنا هو متى شاع هذا الاسم بمعناه المهني الأخير؟ أو متى ظهرت هذه المهنة إلى حيز الوجود؟

من المتعارف عليه في أوساط المؤرخين أن هذه المهنة قد شاعت في العصور الإسلامية المتأخرة، لكن المتأمل في التنظيمات الدينية في مكة المكرمة قبل الإسلام ربما يجد في بعضها شيئًا من التشابه البعيد بين مهنة الطوافة التي عرفها المسلمون ومهنة تفويج الحجيج من عرفة إلى مزدلفة التي عرفها العرب قبل الإسلام. فكتب السيرة النبوية تحدثنا أن قبيلاً من العرب يقال لهم بنو صوفة، وهم من أولاد الغوث بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يدفعون بالنساب من عرفة، ويجيزون بهم، إذا نفروا من منى، فإذا جاء يوم رمي الجمار لا يرمي أحدٌ من الناس حتى يتقدم رجلٌ صوفة فيرمي أولاً بعد الزوال، ثم يرمي الناس من بعده، وأصل هذه المهمة التي تقلدها بنو صوفة هو بسبب من الصهر الذي كان بينهم وبين جرهم - وكانت إذ ذاك تتولى أمر البيت العتيق - فيقال إن والدة الغوث بن مرّ كانت امرأة من جرهم، وكانت لا تلد، فنذرت إن هي ولدت رجلاً أن تتصدق به على الكعبة عبدًا لها يخدمها، ويقوم عليها. فولدت الغوث - وربما سمي بهذا الاسم نتيجة لمعاناة والدته في مسألة الذرية - فكان يقوم على الكعبة مع أخواله من جرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفة، وتوارث بنوه من بني

مهنة الطوافة التي لا يقتصر عملها على الطواف حول الكعبة الشريفة. أو السعي بين الصفا والمروة. كما قد يتبادر إلى الذهن من اشتقاق الاسم: وإنما تشمل أيضًا الطواف بالحجيج حول المشاعر المقدسة



الطوافة لايقتصر عملها على الطواف حول الكعبة

صوفة هذه المهمة فيما بينهم حتى انقرضوا، فخلفهم في ذلك بنو عمومتهم من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم، وكان آخرهم (كرب بن صفوان) الذي استمر

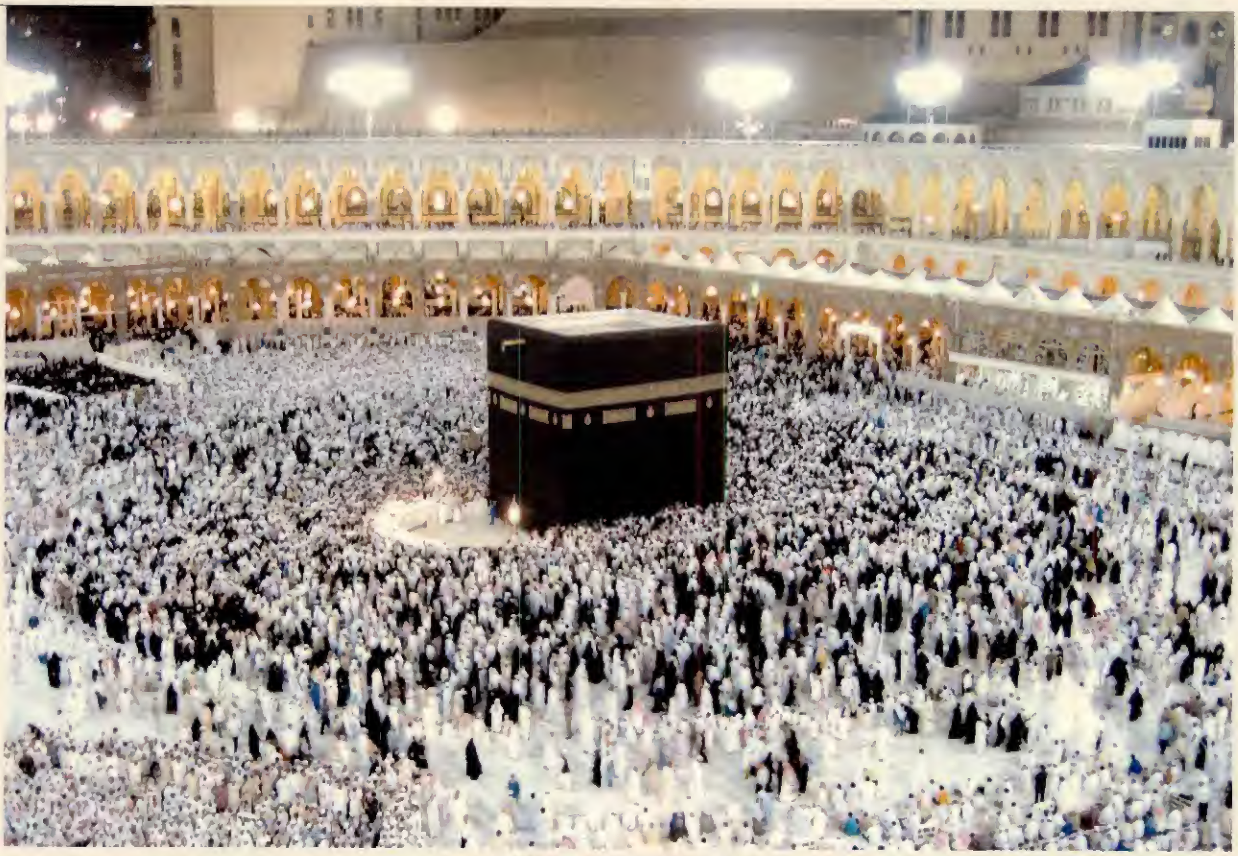
جاء في مدونات الرحالين المغاربة ما يدل على وجود هذه المهنة في القرن السابع الهجري. فـ "ابن رشيد الفهري" الذي حج سنة ٦٨٤هـ ذكر أن صبيان أهل مكة المكرمة كانوا هم من يتولون التطويف بالحجاج

في ولاية هذا الأمر حتى جاء الإسلام، وقد قال فيه أوس بن تميم بن مغراء السعدي:

لا يبرح الناس ما حجوا معرّفهم

حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

ويلاحظ أن قريشًا التي توزعت عددًا من المناصب الدينية المهمة بمكة المكرمة فيما بينها؛ لم يكن لها نصيب في هذا الأمر، ومردّ ذلك يرجع إلى كونهم أهل الحرم، ومن ثم فلا يلزمهم ما يلزم غيرهم من العرب من تعظيم شيء من الحل، مثل تعظيم الحرم؛ لأن في ذلك استخفافًا بحرمتهم، فتركوا الوقوف بعرفة، والإفاضة منها، مع إقرارهم بأنها من المشاعر، وهذا المسلك الذي أخذت به



للطوافة أصل يمتد إلى ماقبل الإسلام

قريش هو ما يعرف بـ (الحُمس).

والحق؛ أنه لا يسعنا القول: إن ثمة تطابقًا أو تماثلاً بين المهنتين؛ لأن بني صوفة لا يتقاضون أجرًا نظير أداء مهامهم، وإنما يقنعون بمعاني الشرف من هذه المهمة، ولسوف نكتفي بملاحظة بعض وجوه الشبه بينهما فيما يتعلق بقيادة الحجيج، وهدايتهم إلى المسالك، وإرشادهم في أداء المناسك. وقد يوحي هذا بأن الطوافة لها أصل يمتد إلى تاريخ ما قبل الإسلام، إلى أن جاء الدين الحنيف، فاتخذت المهنة معنى آخر، ولكن ليس في صدر الإسلام؛ لأنها لم تكن معروفة وقتذاك؛ وإنما شاعت في عصور إسلامية متأخرة. فقسم من المؤرخين والباحثين يعتقد أن الطوافة ظهرت في القرن التاسع الهجري (محمد عبدالله مليباري: المنتقى من أخبار أم القرى، ص ١٨٩)، وقد اعتمد هؤلاء على إشارة أوردها

الطواف مصطلح شرعي يراد به - عادة - معنى مخصوص بأداء نسك الحج والعمرة. بينما الطوافة اسم لمهنة اشتغل بها قسمٌ من أهل مكة المكرمة. لكن السؤال المركزي هنا هو متى شاع هذا الاسم بمعناه المهني الأخير؟ أو متى ظهرت هذه المهنة إلى حيز الوجود؟

يلاحظ أن قريشًا التي توزعت عددًا من المناصب الدينية المهمة بمكة المكرمة فيما بينها؛ لم يكن لها نصيب في هذا الأمر. ومردّ ذلك يرجع إلى كونهم أهل الحرم. ومن ثم فلا يلزمهم ما يلزم غيرهم من العرب من تعظيم شيء من الحل

(قطب الدين النهروالي) في كتابه (الإعلام، ص ١٥٨) وفحواها أن السلطان المملوكي (قايتباي) حج في عام ٨٨٤ هـ، فتقدم قاضي مكة المكرمة (إبراهيم بن ظهيرة)؛ لتطويفه وتلقينه الأدعية. وعلق (أحمدالسباعي) على هذا الخبر بقوله: «لم يذكر المؤرخون مطوفًا قبل القاضي كان يلقن الحجاج في مكة المكرمة فيما قرأته من تواريخ مكة» - تاريخ مكة، ط٢، مطابع دار قريش، مكة، ١٣٨٠هـ، ٣٠١/١..

ولئن كان في تعليق السباعي ملحوظات مهمة عن أسباب ظهور مهنة الطوافة؛ أن ترجيحه للقرن التاسع الهجري كبداية لظهور مهنة الطوافة غير دقيق. جاء في مدونات الرحالين المغاربة ما يدل على

هذه المهنة قد شاعت في العصور الإسلامية المتأخرة. لكن المتأمل في التنظيمات الدينية في مكة المكرمة قبل الإسلام ربما يجد في بعضها شيئًا من التشابه بين مهنة الطوافة التي عرفها المسلمون ومهنة تفويج الحجيج من عرفة إلى مزدلفة التي عرفها العرب قبل الإسلام

وجود هذه المهنة في القرن السابع الهجري. فـ «ابن رشيد الفهري» الذي حج سنة ٦٨٤هـ، ذكر أن صبيان أهل مكة المكرمة كانوا هم من يتولون التطويف بالحجاج، فهم يخرجون لتلقي الحاج على مشارف مكة المكرمة، ويعرضون خدماتهم في الطوافة على القادمين، فقال في ذلك: «فتلقانا أهل مكة وأطفالها متعلقين بالناس ليعلموهم المناسك، ويهدوهم المسالك، قد درب صبيانهم على ذلك، وحفظوا من الأدعية والأذكار ما يحسن هناك» (ملء العيبة، ص ٨٠) أما القاسم بن يوسف التجيبي الذي رحل إلى مكة سنة ٦٩٤هـ، فقد أشار إلى قيام الشيبيين سدنة البيت العتيق بمهنة الطوافة نظير أجرة معلومة يأخذونها من الحجاج (مستفاد الرحلة والاغتراب، ص ٢٦٤) .. وهنا يجد الباحث نفسه أمام ثلاثة أصناف من المطوفين: فهناك: قاضي مكة المكرمة، وسدنة البيت الحرام، وصبيان مكة بشكل عام. ويبدو من ذلك أن الطوافة لم تكن حكرًا على فئة دون أخرى، وإنما مارسها كل من وجد في نفسه القدرة والتأهيل الشرعي. على أنه ينبغي التنبيه على أن قاضي مكة المكرمة ليس مطوفًا لفئة خاصة كما في حالة القاضي ابن ظهيرة مع السلطان قايتباي؛ وإنما هي حالة فريدة أراد بها أهل مكة المكرمة تكريم سلطان المسلمين، وتعظيم قدره.

ونلاحظ أيضًا أن أعمال الطوافة في ذلك العصر لا تقتصر على مجرد تلقين الحاج بعض الأدعية والأذكار؛ بل كانت تشمل أيضًا ترتيب تنقلات الحاج في المشاعر المقدسة، ويفهم ذلك من قول ابن رشيد: «ويهدوهم المسالك». ومع هذا فإن أعمال الطوافة وقتذاك بسيطة ومحدودة، إذ لا تتطلب توفير مسكن أو مطعم لقاصدي البيت الحرام.

مدينة زبيد: لؤلؤة المدن الإسلامية

عدنان عبدالقوي الشميري

صنعاء ـ اليمن

عندما تطأ قدمك ثرى هذه المدينة تشعر برهبة تملكك، وبطهر روحي خفي ينساب في أعماقك. وعندما تحدِّق ببصرٍ في أرجاء المكان تجد نفسك غارقًا في قراءة تاريخ المدينة، وهو يتماثلُ أمام عينيك، ومتمعنًا في مشاهدة معالمها الأثرية، قبل أن تراودك هي على فعل مثل ذلك.

إنها مدينة زَبِيد التاريخية، واحدةٌ من أشهر المراكز الفكرية على مستوى العالم الإسلامي، مدينة العلم والعلماء سابقًا، وإحدى المدن التراثية العالمية في الوقت الحاضر. وللوصول إلى هذه المدينة التاريخية كان يتوجب عليَّ قطع مسافة ٢١٦كم من صنعاء نحو مدينة الحديدة الساحلية، ثم الانطلاق من الأخيرة صوب زبيد، بقطع مسافة أخرى تقدر بـ ١٠٠كم، وهذا ما تم بالفعل.. غير أن معالم المدينة الأثرية، وتجليات روعة الفن المعماري الأصيل الذي اتسم به وجهها، تجعل الواحد ينسى تعب المسافة، في الوقت الذي ينسى فيه حرارة الصيف الشديدة التي تلفح منطقة تهامة بشكلٍ عام بما فيها زبيد.

دلائل تاريخية

تشير المصادر التاريخية إلى أن البلد بأسره كان بلد الأشاعر، وأن هذا المكان هو محل الأشاعر، وما حوله كان غيظة أي هيجة، وكانت مدينة زبيد قبل اختطاطها، عقد طرفاء، وأراك، وحولها قصور، وقرى.. وأن رعاء الأشاعر، كانوا يرعون دوابهم هناك،



ويسقونها من البئر الموجودة غرب مسجد الأشاعر (١). وإنما سُمّيت زبيد بهذا الاسم نسبة إلى وادي زبيد الذي تقع فيه، ويعرف موقعها بالحُصَيْب، كما جاء في البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي (٢).

وكانت في ذلك الوقت عاصمة لقبيلة الأشاعر (٣). واشتهرت بوادي زبيد قبل الإسلام وبعده (٤). أما العرب قديمًا فكانت تُطلق عليها، وتقول زبيد الغنّا» (٥).

ويتفق المؤرخون علي أن وادي زبيد هو نفسه الوادي الذي انطلق منه وفدُ الأشعريين المكون من ستة وثلاثين شخصًا من الأشاعر إلى المدينة المنورة بقيادة الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري؛ تلبيةً لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصرةً للإسلام سنة ٨هـ.

وبعد تلبيته وقومه الدعوة، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل إلى اليمن، فاستقر أبو موسى الأشعري بزبيد، وأسس جامع الأشاعر، ثم غادر إلى المدينة المنورة، ومنها إلى مأرب في حين اتجه معاذ بن جبل إلى الجَنَد، وأسس جامع الجند.

وبعد دخول أهل زبيد الإسلام، استمر الدين ينتشر



فيها يومًا بعد يوم، بفضل علمائها، وظل الحال على ما هو عليه، حتى تمّ اختطاط هذه المدينة سنة ٢٠٤هـ.

اختطاط مدينة زبيد

يذكر المؤرخون أن محمد بن عبدالله بن زياد هو آخر عمال الدولة العباسية في اليمن، وقد بعثه المأمون إليها سنة ٢٠٢هـ على أثر تمرد قبيلة الأشاعر، فتمكن من القضاء على تمردهم، واستقر بتهامة، واختط مدينة زبيد يوم الإثنين الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٢٠٤هـ. كما تمكن بعد ذلك اليوم من إخضاع منطقة تهامة للعباسيين، وجعل من زبيد عاصمة لدولة بني زياد التي أسّسها.

زبيد في عصر الدويلات

استطاعت مدينة زبيد التاريخية، أن تفرض نفسها مركزًا فكريًا له جذوره العميقة، كما استطاعت أيضًا أن تفرض نفسها سياسيًا، ودينيًا؛ وذلك خلال تتابع الدول التي شهدتها اليمن في فترة من تاريخها ابتداءً بدولة بني زياد (٢٠٤ ـ ٤٠٧هـ) ثم الدولة النجاحية (٤٢٠ ـ ٥٥٤هـ) والصليحية (٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ)، ودولة بني مهدي (٥٥٤ ـ ٥٦٩هـ)، وبني أيوب (٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ)، وبني رسول (٦٢٦ ـ ٨٥٩هـ)، ودولة المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٥هـ)، وفي الفترة الأخيرة لحكم الأتراك، إذ تعددت فيها المدارس الإسلامية بمختلف توجهاتها الفكرية، وشيد فيها الكثير من المساجد، وأنجبت عددًا من فطاحلة العلماء، كما تعرضت ـ سياسيًا ـ لغزوات كثير من الملوك ومؤسسي الدول، وسوف نرى خلال السطور القادمة عددًا من الأوجه التاريخية لهذه المدينة إبان عصر الدويلات.

مكانتها التاريخية

تعد مدينة زبيد، مدينة مباركة دعا لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركة، كما ذكر ابن الديبع الشيباني الزبيدي (ت ٩٤٤هـ) في كتابه «بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد» نقلاً عن «دلائل النبوّة» للبيهقي(٦). أما من الناحية الفكرية، والثقافية، فقد ظلت هذه المدينة ردحًا من الدهر، عاصمةً من عواصم الفكر والثقافة، ومركزًا من مراكز العلم والإشعاع والتنوير الحضاري، كما ساهمت في إغناء الحركة الثقافية والعلمية، وحتى السياسية. نبغ منها عدد من العلماء في شتى ميادين العلوم والمعرفة، وكان لهم إسهامهم الكبير في رفد المكتبة الإسلامية، والعربية بالكثير من المصنفات في شتى مجالات العلوم المختلفة، من فقه، وتفسير، وحديث، ولغة، وزراعة، وتاريخ، وفلك، وعلوم طبيعية، وغيرها من العلوم الأخرى، تخرج فيها عدد من القضاة، والدعاة، كما وجد فيها جامع الأشاعر، الذي يعد بمنزلة جامعة إسلامية، إلى جانب الجوامع والمدارس الفكرية الأخرى، جاء وصفها في كتاب «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» بأنها بلاد العلم والعلماء، والفقه والفقهاء والدين، والصلاح، والخير، والفلاح، ولم تعلم مدينة من مدائن اليمن المعمورات، ومساكنها المشهورات مثل ما ظهر في مدينة زبيد من العلم، والعلماء الأثبات، هذا مع قلة كفاية أهلها وأرزاقهم

يعدّ جامع الأشاعر من أقدم المساجد في تاريخ الإسلام، بناه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري بمدينة زبيد سنة ٨هـ بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد رجوعه وقومه من المدينة



مقر المحكمة في زبيد



جانب من جهود إعادة ترميم المباني القديمة

الدقيقة، فهم أهل السعادة في الدارين حقيقة، وهي أم قرى اليمن، ومحط رحال العلم في كل فن (٧).

ويرى المؤرخ محمد بن علي الأكوع في تحقيقه لكتاب عُمارة اليمني «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» أن مدينة زبيد، إبان نهضتها الفكرية، والثقافية، كانت تعد إحدى أمهات المدن الكبرى، وأفخمها، ربَّة العرفان، وكعبة القصّاد والعفاة، ومطمح أنظار العلماء والمتعلمين، ومعهدًا كان يزخر بالعلوم والآداب، وشتى الفنون، ومتجرًا رابحًا لأرباب الصنائع، والحرف، والباعة، والتجار، والأدباء، والشعراء يرتادونها من كل صوب، ويصدرون عنها رواء مليئة، كما منحتها الطبيعة موقعًا طيبًا، فواديها المسمى الحُصيب من شرقها يتدفق بالخيرات، وبأعظم محصولات الحبوب، والثمار، والفواكه، والبحر يمخر من غربها بالجواري الناقلات آئبة، ذاهبة، وتعود منها بجر الحقائب، من وشي صنعاء، وزبيد، وتحف اليمن، وكانت مدعاة لسيّاح الأقطار، فدخلها الرّحالة البشاري في القرن الرابع الهجري، وابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، وأثنيا عليها ثناءً حسنًا (٨).

نُسب إلى مدينة زبيد الكثير من المدارس الدينية والعلمية، التي مثّلت مختلف التيارات، والمذاهب الإسلامية، غير أن عدد هذه المدارس لا يزيد حاليًا على ٥٣ مدرسة علمية

ونبغ منها عدد لا يحصى من العلماء، والفضلاء، والأدباء، والفرسان والرؤساء (٩). ويذكر القاضي إسماعيل الأكوع في تحقيقه لكتاب «البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي» أن مدينة زبيد كانت إلى عهد قريب زاخرة بالعلماء، وطلبة العلم، كما كانت زاخرة بخزائن المخطوطات النفيسة، وما يزال فيها بقية مباركة من العلماء، وبها عدد كثير من المساجد، والمدارس، والجوامع كانت مقصودة لطلب العلم من أماكن شتى من داخل اليمن وخارجه (١٠).

أورد كثيرًا منهم ـ من داخل اليمن ـ في كتابه القيم: «هِجَر العلم ومعاقله» (١١). وتشير المصادر التاريخية إلى أن عدد المدارس والمساجد بلغ من قبل ٢٣٦ مسجدًا ومدرسة، إلاّ أن ذلك العدد تراجع كثيرًا ليصل حاليًا إلى ٨٢ مسجدًا ومدرسة (١٢).

ويشير الأستاذ ـ المرحوم ـ المؤرخ عبدالرحمن الحضرمي ـ أن آخر رقم قياسي لطلاب العلم بلغ خمسة آلاف مهاجر سنة ١٣٥٥هـ، من جميع أنحاء اليمن، والحبشة، وأريتريا، والصومال، وإندونيسيا، على نفقة الأوقاف التي شرطت لطلاب العلم، والعلماء، وبناء المساجد، والمدارس العلمية إلى جانب نفقة المحسنين (١٣). ونتيجةً لتلك المكانة، فقد تغنى بها الكثير من الأدباء والشعراء، منهم العلامة والشاعر عبدالرحمن بن علي الدَّيْبَع الشيباني الزبيدي الذي تغنّى بها شعرًا واصفًا هذه المدينة بقوله:

أسكنْ زبيدَ تجد ما تشتهي فيها
فَهِي التي تذهب الأسوا وتنفيها
زبيد لا شك عندي أنها خُلقت
من جنة الخلد يا طوبى لثاويها
وحسب هاتيك فخرًا أن سيدنا
محمدًا قد دعا قومًا بواديها
بها الأشاعر لا قلّت جماعته
تأتي إلى الصلوات الخمسِ تحييها (١٤)

> يتفق المؤرخون على أن وادي زبيد هو نفسه الوادي الذي انطلق منه وفدُ الأشعريين المكون من ستة وثلاثين شخصًا من الأشاعر إلى المدينة المنورة بقيادة الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري؛ تلبيةً لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. ونصرةً للإسلام

المعالم الأثرية

يوجد بمدينة زبيد اليوم، معالم أثرية كثيرة منها المساجد والمدارس الإسلامية، وقلعة المدينة وأبوابها، وبعض القصور، وغيرها من المعالم الأخرى، ويكفي هُنا أن نبرز بعضًا من تلك المعالم كالآتي:

جامع الأشاعر:

يعد جامع الأشاعر من أقدم المساجد في تاريخ

نقوش بديعة على الجدران وباب عتيق





مدرسة القصين

الإسلام، بناه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، بمدينة زبيد، سنة ٨هـ، بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد رجوعه وقومه من المدينة المنورة، كما سبق القول، غير أنّه جدِّد أواخر العام ٤٠٠هـ من قبل الحسين بن لامة، كما نصب منبر الحديث والوعظ فيه في عهد الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل، نصبه الأمير أبو غازي بن العمار الملقب شهاب الدين، غير أن الأمير سيف الدين برقوق جدّد عمارة الجامع سنة ٨٣٢هـ، وزاد فيه بعض الأجنحة، ومقصورة للنساء، وفي عام ٨٩١هـ قام الملك المنصور تاج الدين عبدالوهاب بن طاهر بن داود بهدم المسجد، وأعاد عمارته، أما منبر الخطابة فتم إصلاحه، وترميمه سنة ٩٤٩هـ على يد الوالي العثماني مصطفى النشار.

ويعدّ جامع الأشاعر بمنزلة جامعة إسلامية، يليه الجامع الكبير والمساجد، والمدارس التي عمرت عبر التاريخ، إلى جانب الأربطة والمقاصير التي أنشئت لطلاب العلم الغرباء من جميع أنحاء اليمن، والعالم الإسلامي.

وظل هذا الجامع يؤدي رسالته العلمية المشهور بها حتى سنة ١٣٥٥هـ، وإن استمرت الدراسة بعد هذا التاريخ إلا أنها ليست بالمستوى السابق، ويوجد



منارة المسجد الكبير



مسجد الإسكندرية

بالجامع مكتبة تضم الكثير من المصنفات والمخطوطات؛ وقد أسست في منتصف القرن ١١هـ. كما ساهم الأستاذ عبدالرحمن الحضرمي قبل وفاته في تأسيس مكتبة تضم المخطوطات النفيسة التي جمعها، وألحقت بالمسجد.

وتبلغ مساحة المسجد الحالية ٦٨٩,٧٥ مترًا مربعًا، ويعد بناؤه نوعًا من أنواع الفن المعماري الأصيل، إذ بني على أسطوانات - دعائم - وعقود متصل بعضها ببعض على الدعائم، وفوق العقود، وللجامع مئذنة لا يزيد طولها على بضعة أمتار.

قلعة زبيد:

يرجع تاريخ تأسيس قلعة زبيد إلى اختطاط المدينة

لمدينة زبيد أربعة أبواب ما زالت موجودة إلى اليوم، كانت مرتبطة بالسور الرابع هي: باب الشبارق الذي ينفذ إلى المشرق، وباب سهام، وباب النخل، وباب القرتب، ويجري حاليًا إعادة ترميم هذه الأبواب

سنة ٢٠٤هـ، ويؤكد هذا القول أعمال الحفريات الأثرية والمجسَّات التي تم من خلالها التعرف إلى وجود تراكم طبقي من خلال الطبقات الأثرية التي تجرى حاليًا في القلعة، وبإشراف البعثة الكندية للآثار.

غير أن المباني القائمة الآن، التي تتكون منها القلعة، وهي دار الناصري، ومسجد الإسكندرية، ودار الضيافة، ودار التأديب ـ تعود إلى العصر العثماني، باستثناء مسجد الإسكندرية الذي يعود إلى العصر الأيوبي (٥٦٩ ـ ٢٦٢٦هـ). كما أكد المهندسان الذبحاني والمصعبي المشرفان على المسوحات الأثرية داخل القلعة.

وتشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن الدار الناصري الكبير من أهم المآثر في زبيد حيث كان بساحته قصور الزياديين، والنجاحيين، وقصر الأعز الصليحي، وفي سنة ٨٢٢هـ عمر الملك الناصر أحمد الرسولي الدار الكبير الذي عرف باسمه (١٥).

أبواب المدينة

لمدينة زبيد أربعة أبواب ما زالت موجودة إلى اليوم كانت مرتبطة بالسور الرابع الذي أداره على المدينة سيف الإسلام طغتكين سنة ٥٨٩هـ. كما ذكر ذلك ابن الدَّيْبَع الشيباني، إلا أن هذا السور غير موجود الآن، وتوجد أربعة أبواب هي: باب الشبارق الذي ينفذ إلى المشرق، وباب سهام، وباب النخل، وباب القرتب، ويجري حاليًا إعادة ترميم هذه الأبواب.

تعددت فيها المدارس الإسلامية بمختلف توجهاتها الفكرية. وشيد فيها الكثير من المساجد. وأنجبت عددًا من فطاحلة العلماء. كما تعرضت ـ سياسيًا ـ لغزوات كثير من الملوك. ومؤسسي الدول

المدارس العلمية

نُسب إلى مدينة زبيد الكثير من المدارس الدينية والعلمية التي مثّلت مختلف التيارات، والمذاهب الإسلامية، غير أن عدد هذه المدارس لا يزيد حاليًا على ٥٣ مدرسة علمية، وأهم تلك المدارس: المدرسة الإسكندرية التي أسست في عهد المعز ابن طغتكين (ت ٥٩٨هـ)، وكان اسمها ميلين، إلا أنها نُسبت فيما بعد إلى الوالي العثماني إسكندر مون، فسميت المدرسة الإسكندرية، وكذلك المدرسة المنصورية نسبةً إلى مؤسسها السلطان المنصور عمر بن علي بن رسول (ت ٦٤٧هـ)، ومدرسة جمال الدين الريمي (ت ٧٩٢هـ)، والمدرسة الشمسية (مدرسة الغصين) بناها الفقيه محمد بن أحمد الغصين سنة ٩٤١هـ، بجوار المدرسة الشمسية، وغيرها من المدارس الأخرى التي لا يسمح هذا التناول لعرضها.

وكان طلاب العلم، سواء من اليمن أو من غيرها، يتلقون الدروس في أماكن تسمى أربطة، ومفردها رباط، ومن هذه الأربطة رباط الأشاعرة، ورباط الجامع الكبير، ورباط الغصيني، ورباط علي يوسف، وغيرها من الأربطة الأخرى الموجودة حاليًا في مدينة زبيد.

علماء زبيد

اشتهرت زبيد بالكثير من العلماء البارزين في شتى ميادين العلوم المختلفة، الذين كان لهم دور بارز في حقل التأليف والكتابة، وقد تركوا عددًا من الكتب والمصنفات والمخطوطات المهمة، التي حظيت باهتمام الجامعات الغربية، والمستشرقين، والرحالين على حدٍ سواء.

كما اشتهرت أيضًا بالقُضاة، الذين تلمذوا لعلمائها



عمال منهمكون في عملهم



أحد البيوت التقليدية في زبيدة

وعملوا بعد إجازتهم في القضاء في مُدن وقرى مختلفة من اليمن. وقد حفل الكثير من المصادر التاريخية بعلماء زبيد، ومن هؤلاء: العلامة أبو الحسن بن المبارك الزبيدي مؤلف كتاب «تجريد صحيح البخاري»، ومحمد بن عبدالله الريمي مؤلف كتاب «التفقيه في شرح التنبيه» الذي قدمه للملك المجاهد الرسول إسماعيل بن العباس سنة ٨٠٣هـ في أربعة مجلدات، فمنحه السلطان أربعة شخوص ذهبية إكرامًا له وللعلماء مكتوبًا على شخص:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على النّاس طُهرًا قبل أن تتفلّتِ
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هي ولّتِ

وشيخ الإسلام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ مؤلف كتاب «الإرشاد في الفقه»، و«عنوان الشرف الوافي»، والعلامة فيروز ابادي صاحب «القاموس المحيط»، وحمزة بن عبدالله الناشري مؤلف كتاب «البستان الزاهر في طبقات بني ناشر»، و«الإيضاح على الحاوي»، و«مسالك التكبير»،

يرجع تاريخ تأسيس قلعة زبيد إلى اختطاط المدينة سنة ٢٠٤هـ وتؤكد هذا القول أعمال الحفريات الأثرية والمجسَّات التي تم من خلالها التعرف إلى وجود تراكم طبقي من خلال الطبقات الأثرية التي تجري حاليًا في القلعة. وبإشراف البعثة الكندية للآثار



والعلامة أبو بكر الحداد صاحب «تفسير الحداد في القرآن الكريم» والعلامة أحمد بن موسى الجلادي مؤلف «استنباط الصناعة الجبرية»، والملك المظفر صاحب «المعتمد في الطب»، و«تيسير الكواكب في الفلك»، وابن الملك الأشرف الأول مؤلف «الجامع في الطب»، وفي الزراعة كتابه «ملح الملاحة في معرفة الفلاحة»، كما برز من العلماء عبدالرحمن بن الدَّيْبَع الشيباني الزبيدي مؤلف «بغية المستفيد في أخبار زبيد»، و«قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون»، و«تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث»، والزبيدي مؤلف كتاب «تاج العروس».

كما برزت الفتاة في مجال العلم والتعليم، أمثال فتاة حمزة بن عبدالله الناشري، وأسماء بنت موسى الضجاعي، وعائشة أحمد الطنبداوي، وغيرهن من اللواتي مارسن التدريس في علم الفقه، والتفسير، والحديث لفتيات عصرهن (١٦).

بداية التراجع

خلال عقود طويلة، ومتتابعة، ظلّت مدينة زبيد التاريخية حاضرة في وجدان العالم الإسلامي كمركز فكري وديني وعلمي، غير أن هذه المدينة دخلت في المرحلة الأخيرة للأتراك في حروب أهلية، نتيجة الفوضى الإدارية، والتحكم الأسري في العقد الثاني من القرن ١٤هـ؛ إذ أصبح مسجد الأشاعر ومنارته مركزًا للفئات المتصارعة، وتجزأت المدينة إلى أربع معارك، ثم تحوّلت إلى معركتين، مما جعل السيد محمد الأهدل يصوّر مأساة هذه المدينة بقوله:

قف على الربع واندب الأطلالا
وذر الدمع في الخدودِ مذالا
كيف تنهى دمعًا وهذي زبيد
في عزاءٍ وحادث الدهر طالا
لا تقل صاح إن عهدي بها في
بهجة عزٍ أن ترام منالا
فهي كانت وكل خير لديها
وهي جلّت لأن تكون مثالا
وبها كان ما تقرّ بها العيـ
ـن وينسى الفؤاد فيها العضالا

وربما تكون الفترة المشار إليها سابقًا هي بداية التراجع، نقول ذلك، ونحن نعلم أن آخر رقم قياسي للطلاب بلغ خمسة آلاف طالب سنة ١٣٥٥هـ - وكما أشرنا من قبل - غير أن التعليم بدأ يتراجع شيئًا فشيئًا حتى الوقت الحاضر.

ويمكن قراءة واقع زبيد التعليمي اليوم مقارنة بالأصل من خلال جنس أدبي آخر، وهو جنس الرواية، يصوّر لنا ذلك الواقع محمد عبدالولي في روايته «صنعاء مدينة مفتوحة» التي صدرت في سبعينيات القرن العشرين، إذ يقول: «كانت زبيد منارةً للعلم، منذ عرف اليمنيون العلم، وظلت قرونًا طويلة شعلتها لكن حين أشرقتُ عليها.. كانت نائمة في سهل ممتد.. مآذنها القديمة، وبيوتها ذات البناء التاريخي، ثم عشش من اللِّبن وعشش أخرى، وفي مشهد آخر من أجواء الرواية ذي حبكة فنية، يجسد من خلاله واقع المدينة اليوم، يقول: إنه عندما دخل المدينة

محمد بن عبدالله بن زياد هو آخر عمال الدولة العباسية في اليمن. واختط مدينة زبيد يوم الإثنين الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٢٠٤هـ كما تمكن بعد ذلك اليوم من إخضاع منطقة تهامة للعباسيين. وجعل من زبيد عاصمة لدولة بني زياد التي أسّسها



أول مرة وجد طلابًا مجتمعين يتدارسون العلم فيما بينهم أول النهار، ويوزع عليهم بعد إتمام اجتماعهم الطعام من لحم وغيره، ففرح؛ لأنه وجد ضالته، وقرر أن يتعلّم معهم، وينهل من علومهم، إلاّ أنه عندما عاد آخر النهار لم يجدهم.. ووجد رجلاً شيخًا فسأله عن طلاب العلم.. فحاول الشيخ أن يسخر من سؤاله إلاّ أنه رد عليه بعد أن عرف أنه غريب عن المدينة بالقول: إنهم أهالي المدينة يا بني.. وهذا الذي وزّع اليوم.. هو صدفة

بيت تقليدي توضح النقوش التي على جدرانه إبداع فنان زبيد



مدرسة الريمي



من حاكم المدينة.. لأن إحدى زوجاته قد ماتت بالأمس فلا تظن أنّه للطلبة أو أنه أولئك طلاب (١٨).

ومهما يكن التصوير الإبداعي الذي جسّده الراوي إلاّ أنه حاول المقارنة بين زمنين، حال الأمس، وواقع اليوم، غير أن معالم زبيد الأثرية تظل شاهدة على عراقة تاريخ هذه المدينة، كما تظل كتب التاريخ، والمصنفات والمخطوطات شاهدة أيضًا على عظمة

هذه المدينة، وبقائها محفورة في ذاكرة التاريخ ووجدانه، على مر العصور.

زبيد في الوقت الحاضر

تقع مدينة زبيد جنوب الحديدة على بعد نحو ١٠٠ كيلو متر تقريبًا . وتبعد عن البحر الأحمر الذي يقع غربها مسافة ٣٠ كيلومترًا، وتعدّ حاليًا ضمن المدن التراثية العالمية بعد أن أعلن عن ذلك عام ١٩٩٣م،

دخلت مدينة زبيد معظم مشروعات الدولة من طرق، ومواصلات وخدمات وغيرها.

ويوجد الآن في المدينة كلية التربية، وعدد من المدارس الحكومية، ويوجد فيها شارع واحد رئيس، والبقية شوارع صغيرة فرعية، كما يوجد فيها السوق القديم..

يتركز نشاط أهل المدينة حاليًا في الزراعة، والعمل في مجال البناء، ويقصدها أفواج كبيرة من السيّاح للاطلاع على تاريخها، كما تشرف بعض البعثات حاليًا، ومنها البعثة الكندية، على إجراء مسوحات ميدانية داخل المدينة، بهدف دراسة تاريخها. وشهدت مدينة زبيد حاليًا توسعًا في الإعمار والبناء من شأنه أن يطغى على معالمها الأثرية، إلا أن الهيئة العامة للآثار، بما فيها الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية. قامت مؤخرًا بتكليف لجنة تقوم بإجراء مسوحات ميدانية بهدف الحفاظ على المعالم الأثرية.

كما وضعت برنامج عمل مكثفًا يتضمن رصف شوارع المدينة، وإعادة إعمار البوابات الرئيسة لها وترميمها.

المراجع والهوامش

١. قرّة العيون، وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر، تأليف محمد بن عبدالوهاب المقدار الشهير بابن النقيب الزبيدي، تحقيق وتعليق عبدالرحمن الحضرمي. نشر بمجلة الإكليل، العددان ٣، ٤ السنة الأولى، ربيع ١٩٨١م، ص١١١.

٢. البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، جمعها، وحقق وبيّن مواضعها القاضي إسماعيل الأكوع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ص٩٦.

٣. الأشاعر قبيلة غزيرة مرهوبة الجانب، ومنها النفر الذي كان على رأس وفدهم أبو موسى الأشعري، والذي قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: جاءكم أهل اليمن أرق أفئدة، وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والذي نزل فيهم: ﴿ ولا الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾.. الآية. ونسبت هذه القبيلة إلى نبت وهو الأشعر بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ ولقب بالأشاعر؛ لأنه ولد أشعر الجسم كله. انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص٩٦.

٤. تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها.. تأليف نجم الدين عمارة اليمني، تحقيق محمد بن الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الثالثة، ص٥١.

٥. صفة جزيرة العرب، تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص٩٧.

٦. بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تأليف عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الدَّيْبَع الشيباني الزبيدي (ت ٩٤٤هـ) تحقيق عبدالله الحبشي، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني ص١٨.

٧. بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، مرجع سابق ص٢٣.

٨. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، مرجع سابق ص٣٤.

٩. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق ص٣٦.

١٠. البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مرجع سابق ص ١٣٨.

١١. راجع ذلك في هجر العلم ومعاقله للقاضي إسماعيل الأكوع في أربعة مجلدات.

١٢. راجع ذلك في كتاب زبيد مساجدها، ومدارسها العلمية في التاريخ، تأليف عبدالرحمن الحضرمي، المركز الفرنسي للدراسات اليمانية بصنعاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق٢٠٠٠م.

١٣. لمحة تاريخية لمدينة زبيد، دراسة بقلم الأستاذ عبدالرحمن الحضرمي، منشورة بمجلة دراسات يمانية، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء العدد ٤٨ أكتوبر، ديسمبر ١٩٩٢م، ص٣٩٢.

١٤. مجلة الإكليل، مرجع سابق ص ٤٢٧.

١٥. مجلة دراسات يمانية، مرجع سابق، ص٣٩٦.

١٦. المرجع السابق ص٣٩٢.

١٧. مجلة الإكليل، مرجع سابق ص١٣٨.

١٨. صنعاء مدينة مفتوحة، الأعمال الكاملة (٤)، محمد عبد المولى، دار العودة، بيروت، دار الحكمة صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

عشرة أيام في رومانيا

سعد البواردي

الرياض ـ السعودية

«تريد يا عبدي وأريد، وليس لك يا عبدي إلا ما أريد».. «أردت شقراء.. وأراد الله ضرماء» مثل شعبي يضربه المثل لمن حيل بينه وبين ما يشتهي..

هكذا أنا أردت أوربا غربًا.. وأرادها الله شرقًا..

البداية يوم أن نبتت فكرة السفر.. المشهد أمامي دول أوربية غربية أربع، لم يتسن لي رؤيتها من قبل.. «النرويج، لوكسمبرج، البرتغال، إسبانيا»، اخترت الأخيرتين.. هيأت من أجلهما حقائب السفر، تقدمت إلى السفارة البرتغالية طلبًا للتأشيرة.. أنجزت الأوراق المطلوبة.. استمارات معبأة.. تأمينًا صحيًا.

شهادة بنكية برصيد.. أسبوعان في انتظار التأشيرة.. فوجئت بطلب جديد شهادة من الجهة التي أعمل بها.. ومصدقة من الغرفة التجارية.. ومع أنني متقاعد لأكثر من ثمانية عشر عامًا، لا صلة لي بوظيفة.. ومع أنني لا أملك متجرًا.. ولا مكتبًا، ولا مؤسسة تقضي بأختام الغرفة التجارية كان مما لا بد منه بد..

أحسست بثقل الرحلة، وبصعوبة التأشيرة.. وزاد إحساسي بثقلها نكوصًا في أن جاءت تفجيرات لندن،



وما واكبها من شحن نفسي وقلق جعلاني أتراجع بحثًا عن وجهة أخرى أكثر أمانًا واطمئنانًا.. وجاء البديل.. «رومانيا والتشيك» تقدمت بالأوراق للسفارتين.. خلال عشرة أيام كانت تأشيرة الدخول جاهزة.. حزمت الحقائب وتوكلت على الله.

في رومانيا

خمس ساعات وعشر دقائق هي مسافة الرحلة بين مطار الرياض ومطار زيورخ السويسري. ومنه إلى مطار بوخارست العاصمة الرومانية زهاء الساعتين والنصف.. سماء ملبدة بالغيوم، سخية المطر. في مطار بوخارست المتواضع حركة متواضعة تشعرك بأنك في بلد لم يأخذ نصيبه الذي يستحقه من الحركة على الرغم من طبيعته الساحرة، وحضارته الرومانية الزاخرة.. من المطار إلى قلب المدينة بدأت تتكشف ملامح الجغرافيا والديموغرافيا لهذا البلد الرائع بخصوبته ووداعة أهله البالغ عددهم زهاء عشرين مليونًا، ديانة أغلبهم أرثوذكسية.



متحف الموسيقا

ماذا عن العاصمة "بوخارست"؟

- المدينة زاخرة بالحركة والحياة يقطنها مليونان من البشر.. وتتميز بشوارعها الواسعة، وميادينها الكبيرة.. ومبانيها التاريخية الفخمة.. ومتنزهاتها التي تحيط بها من كل جانب، وبحيراتها التي تضفي على تلك المتنزهات راحة لروادها، واستراحة لهم، لا يضاهيها راحة..

من معالمها السياحية والتاريخية

- مبنى الإعلام المبنيّ على النمط المعماري الروسي. مبنى مجمع أعضاء المجلس الشيوعي في حكم تشاوسسكو الذي بني عام ١٩٨٩م، ولم يكتمل بعد.
- متحف القرية الذي ينقلك إلى الماضي بعالمه ومعالمه، متحف بوخارست، الأوبرتاهاوس، قاعة جورج انبسكو.
- قوس النصر الذي يشبه - إلى حد ما - قوس النصر بباريس، بُني قبل ستين عامًا، المتحف التقني للسيارات القديمة.
- متحف الفلاحين بمحتوياته وأدواته..
- المتحف الوطني للفنون الرومانية.. أكاديمية

تتميز بوخارست بشوارعها الواسعة، وميادينها الكبيرة.. ومبانيها التاريخية الفخمة.. ومتنزهاتها التي تحيط بها من كل جانب. وبحيراتها التي تضفي على تلك المتنزهات راحة لروادها، واستراحة لهم. لا يضاهيها راحة

الاقتصاد، متحف كوثروسيتي.

- متحف الموسيقا، متحف بوخارست، قصر الملك، مبنى الجامعة، المركز الوطني، مبنى البرلمان.
- الأكاديمية الرومانية، الأكاديمية العسكرية حيث صور الحكام ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها. متحف أنتيبا للتاريخ الطبيعي أقيم عام ١٩٣٦م.
- من أهم الميادين ميدان فيكتوريا وبياتزا بالاتوري. حيث يقع قصر الملك الذي تحول إلى متحف. ميدان قوقل نتشانو، ميدان الجامعة. ميدان أونيرا إسكوير حيث مبنى الكنيسة الأرثوذكسية، ميدان رومانا، ميدان فياتا أفياتوري، ميدان شارل ديجول حيث يقع مبنى الإذاعة والتلفزيون، ميدان ديمبوفيتسا، ميدان أدنيرا.
- من أهم شوارعها وأكبرها نشاطًا واتساعًا شارع كلتاتوريا، شارع اشتري بي يود؛ (أي الملك) شارع مونيملي المعروف بشارع النوافير. حيث تقام المتاجر والمباني ذات الطرز القديمة. يذكرنا بعضها بشوارع محمد فريد وجاردن سيتي بالقاهرة.
- أما حدائق المدينة فأهمها حديقة هيسترو الواسعة ببحيراتها ومطاعمها. وحديقة كارل الأول، وحديقة هيرشترا، حيث يوجد مرفأ نهري سياحي، وحديقة لوتانيكا حيث البحيرة والشلالات، وحديقة التوابل، وحديقة سسمجيو حيث المشاهد البانورامية والبحيرات، وثلاثون ألف شجرة منقولة إليها من الجبال الرومانية، إضافة إلى النباتات المجلوبة لها من النمسا، وعدة تماثيل لعلماء الرومان.
- أشهر متاجر المدينة: بوخارست مول، وجاليري كريفور، ومجمع سبلانادا، والمركز التجاري العالمي.
- العملة الرومانية (لي) تعادل خمسة وعشرين ألفًا مقابل الدولار الأمريكي؛ أي: أن من يملك مئة دولار يعدّ مليونيرًا.. ومن يملك ألف دولار حتى خمسة آلاف يعدّ فقيرًا..
- يخترق بوخارست نهر ديمبوفيتسا، تتفرع منه جداول تشكل بحيرات ومجاري للحقول..
- في بوخارست مترو أنفاق.. وشبكات اتصالات منتظمة.
- من مسارحها الشهيرة: المسرح الوطني، والأوديون، والنوتارا.


قوس النصر بوخارست

من أشهر المهرجانات القومية التي تقام في رومانيا مهرجان الأبقار. حيث يعمد فنانو الرسم إلى تجسيد صور الأبقار وتلوينها. ثم بيعها في مزاد علني في شهر سبتمبر من كل عام لمصلحة الأعمال الخيرية

- بوخارست ملأى بالفنادق المتفاوتة المستويات، والمطاعم والمقاهي المصنفة جميعًا على أنها سياحية.. ومن ثم فإن الأسعار نار.

خارج مدينة بوخارست توجد مدينة بوكوفيتا المشهورة بمعابدها المزينة بالنقوش.. وقرية ترانسلفينيا المشهورة بقلاعها التاريخية القديمة من بينها قلعة (دراكولا)، ودراكولا كلنا سمعنا عنه مقترنًا اسمه بأنه مصاص دماء.. وهو في نظر الرومانيين بطل قومي يقتل خصومه، ولكنه لا يشرب دماءهم.. من أجل تخليد اسمه أطلق على القلعة؛ لأنه أُعتقل داخلها ثلاثة أشهر.. أما قبره فقد بني له ضريح داخل جزيرة صغيرة وسط بحيرة سناكوف شمال بوخارست.

- في مدينة بوكوفيتا قصر يليس، وقلعة برتان سكسون، إضافة إلى منتجعات صحية لعل أشهرها مصحة «أنا».

- من أشهر المهرجانات القومية التي تقام في رومانيا مهرجان الأبقار، حيث يعمد فنانو الرسم إلى تجسيد صور الأبقار وتلوينها، ثم بيعها في مزاد علني في شهر سبتمبر من كل عام لمصلحة الأعمال الخيرية.. هذا المهرجان يقام في أكثر من جمهورية في شرق أوربا، في براغ كان ملموسًا.

على مسافة ستة عشر كيلومترًا من بوخارست شمالاً تقع مدينة أوتونبك، حيث المعارض ومكاتب الشركات العالمية.. الحقول والجداول المائية لا تخطئها العين.. حيث تتحرك، تراها أمامك ماثلة، ومن حولها درات أنيقة، ومتاجر، وورش صناعية. الأشجار الكثيفة الملتفة بنت حائطًا يحرس الطريق من الجانبين.

- على بعد خمسة وعشرين كيلو مترًا تقع بلدة سناكوف حيث مقابر الجنود الإنجليز في أثناء الحرب العالمية الثانية.

- الريف الروماني يذكرني كثيرًا بالريف المصري ببساطته ووداعة أهله.. والمدن الرومانية خليط من



متحف الفن



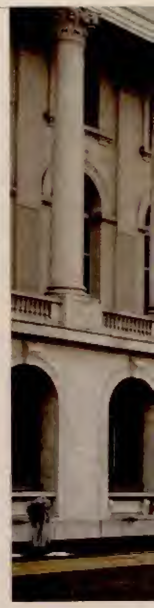
مبنى البرلمان في بوخارست

أحياء راقية وأخرى شعبية كما هي في عالمنا الثالث.

رحلة إلى المرتفعات

بين العاصمة الرومانية ومنطقة سناي مئة وعشرون كيلومترًا، ومن سناي إلى منطقة بران ثلاثة وثلاثون كيلو





قصر سناي

مترًا، ومن بران إلى براشوف ثلاثون كيلو مترًا مربعًا.. عبر المسافة، ومن خلالها سهول مخصبة.. وصور بانورامية.. وأخيلة ملتفة تتقاطع ملامحها.

منطقة سناي منتجع جميل يقطنه الأثرياء.. المنتجع تابع لإقليم براهوفا المسمى باسم النهر الذي يخترقه، ومن أعظم وأجمل معالمه السياحية قصر الملك بليس المبني عام ١٨٧٥م لأول أسرة ملكية حكمت رومانيا.. تم تجديد بنائه في عهد الملك كارل هوهلمن زولون.

القصر قطعة فنية نادرة لا مثيل لها في العالم.. أدواته وأعمدته وسقوفه وأرضياته من الأخشاب، بني على الطراز الألماني.. أما مقتنياته فحدث ولا حرج: قاعاته مموهة بالذهب، حجراته متاحف تجسد أنماطًا لدول كثيرة في حضارتها وفي عراقتها.. القصر الخرافي يضم متحف أسلحة، قوامها أربعة آلاف قطعة سلاح قديمة ومختلفة من أنحاء أوربا من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر.

في منتجع سناي مقبرة عسكرية لضحايا الحرب العالمية الأولى، ومتحف كبير لجنرالات الحروب، وتاريخ حياتهم.. ومعتقل لأسرى الحروب.

- أعلى جبل في رومانيا اسمه نيمقويو يرتفع ٢٥٠٠ متر عن سطح البحر.. أما المنتج نفسه فيرتفع ٨٦٠ مترًا عن مستوى البحر يطل عليه جبل بوتشيس الذي يتجاوز ارتفاعه ألفي متر.

في الطريق إلى المنتجع تمر بمدينة كومارنيك حيث مصنع كيماوي كان سببًا في تلوّث البيئة في العهد الشيوعي.. جرى إغلاقه..

- وأيضًا منتجع برازا حيث أول ملعب للجولف في رومانيا.. وأيضًا مدينة بلويشت التي تعد ثالث منتج للبترول في أوربا.. سكانها مئتا ألف نسمة

من سناي تمتد بنا الرحلة إلى مدينة بران، حيث قلعة بران الشهيرة، مرورًا بمنتجع بوشتين وأزوقا حيث التزحلق على الجليد والاسترخاء.. يخترق مدينة أزوقا نهر يحمل اسم المدينة، أو هي بمعنى أصح تحمل اسمه.. هذا النهر أحد روافد نهر براقوفا..

- من المنتجعات المعروفة سياحيًا منتجع بريدال الأعلى ارتفاعًا في رومانيا.. والأكثر جذبًا للسياح.. ارتفاعه ١١٠٠ متر.

- من المعالم الشهيرة أيضًا قلعة بران المبنية على قمة



خارج مدينة بوخارست توجد مدينة بوكوفيتا المشهورة بمعابدها المزينة بالنقوش.. وقرية ترانسلفينيا المشهورة بقلاعها التاريخية القديمة من بينها قلعة (دراكولا). ودراكولا في نظر الرومانيين بطل قومي يقتل خصومه. ولكنه لا يشرب دماءهم



الخضرة تحتضن مبنى تاريخياً

جبل للحماية من الغزاة.. بناها الأهالي بعد انتهاء احتلال المجر، وقدموها هدية للملكة ميري زوجة الملك فرناند ثاني ملوك رومانيا عام ١٩١٨م مكافأة لها على مساعدتها لهم على إعادة ترانسلفانيا عام ١٩٢٠م.. هذه القلعة هي قلعة دراكولا.

ـ في الطريق إلى مدينة براشوف مرورًا بمدينة كرستيان كانت الطبيعة الحالمة تدغدغ المشاعر، وتوقظ الهواجس الحلوة.. غيوم، ومطر، ونسيم عليل يهفهف.. ومروج.. وقطعان ماشية، كل ما حولك يوحي بأنك في حلم لا تريد الاستيقاظ منه..

ـ مدينة براشوف ثاني المدن الرومانية حجمًا وكثافة سكانية قرابة المليون نسمة.. أما معالمها التاريخية



فكثيرة، لعل أهمها الكاتدرائية السوداء. سميت بهذا الاسم لتعرضها لحريق هائل ما زال يلون دواخلها وحيطانها الخارجية. الحريق جرى عام ١٦٨٩م.. بناء الكاتدرائية استغرق مئة عام.

ومن معالمها أيضًا كاتدرائية سان نيكولاس المبنية في القرن ١٦م.. ومكتبتها الشهيرة بمقتنياتها، وفيها أول كتاب طبع في رومانيا.. في براشوف أيضًا البوابة القديمة الوحيدة في رومانيا، والتي تعرف باسم بوابة سانت كاترين.. كما يوجد أضيق ممر في رومانيا اسمه سترنج ستريت، أي: شارع الخيط.. وأكبر ميادين المدينة اسمه ميدان القنصلية، ويُعدّ أكبر ميادين رومانيا على الإطلاق.. ومن معالمها قاعة المدينة المبنية عام ١٤٢٠هـ.. وأول مكتبة رومانية أنشئت عام ١٥٤٧م.

- مدينة براشوف تعد أول منتجع للأسلحة الرومانية في القرن الخامس عشر.

- المدينة مزينة ببعض المجسمات الجمالية.. شوارعها.. ومتاجرها.. ومبانيها.. وحدائقها توحي بحيويتها.

- يمتلك دكتاتور رومانيا السابق قرابة أربعين قصرًا في تشيكسلوفاكيا أيام كانت موحده في عهده.. أي في التشيك، وفي السلوفاك المستقلتين حديثًا بعضهما عن بعض بشكل سلمي.

- رومانيا بلد زراعي أهم محاصيله الأرز والذرة والفواكه.. وبلد ناشئ صناعيًا تلمح ملامح حركته الصناعية الجديدة في مصانع منتشرة في أكثر من موقع..

- أكبر المدن الرومانية بعد بوخارست هي براشوف وكونستنزا وياش.

عشرة أيام قضيتها في ربوع هذا البلد الجميل تحركنا شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا.. طوَّفنا بالقليل من المشاهد وهو ما سمح به الوقت المتاح.

من رومانيا نحزم حقائبنا، ونمتطي الحافلة الصغيرة إلى مطار بوخارست في اتجاه التشيك عبر سماء هنغاريا.. إلى اللقاء.

في الطريق إلى مدينة براشوف مرورًا بمدينة كرستيان كانت الطبيعة الحالمة تدغدغ المشاعر، وتوقظ الهواجس الحلوة.. غيوم. ومطر. ونسيم عليل يهفهف.. ومروج.. وقطعان ماشية



الأكاديمية العسكرية

من سيرة عنترة

وليد قصّاب

الرياض ـ السعودية

يا فارسي..

وضيا العيون... وشاعري

كم فارسٍ خاتلتَ في ساح الوغى

ومغامر!

وطعنتَ، ثم خرجت

في عدو الغزال النافر!

لمَ لمْ تخاتل في الهوى

لمَ قد فضحتَ مشاعرًا

لك عندهم

ونبشت من قلبي

دفين مشاعري؟

لمَ لمْ تكتّم من هواك الثائر؟

وملأت أسماع الزمان قصائدا

يا شاعري؟

غنّت شفاهُ الأرض

ما أنشدت فيّ

من القريض الباهر

وعلى لسان الخلق

صار غرامنا مثلاً

يطير مع الرياح كطائر

❖❖❖

صرّحتَ

لم تخفِ الغرامَ

وكنت أجرأ شاعر

أو ما علمت بأنهم

يخشون كلّ مصارحٍ ومجاهر؟

عشقوا التواريَ في الظلام

وبعد نوم النائم

عشقوا يسمّون الأمور بعكسها

ويخبئون الشمس خلف ستائر

هم كالنعامة

رأسها في الرمل

تحسبه بعيدًا عن عيون الناظر

أحبابهم في الليل أعداء

إذا دهمتهُمُ

شمسُ النهار الباهر

كتّمْ مشاعرك الغداةَ

ولُفَّها بغشاء قلبك، يا حبيبُ



وصابرِ

❖❖❖

لكنني.. يا عبلتي

سطَّرتُ فوق البدر

أصدق قصةِ

سطرت حبا كالسَّنا

وسقاه غيثُ العفةِ

حبٌّ الذي

كم غضَّ طرفا

إن بدا مِلّ خدر

وجه الجارةِ

أيلامُ مثلي أن يسطّر حبَّه

بمداد قلب طاهرٍ

كضياء تلك النجمةِ؟

❖❖❖

يا عبلتي..

إني كما تلك السهول صراحةً

لا أعرف التمويه والإخفاءَ

مكنونُ قلبي أبيضٌ

مثلُ الصباح

تألقا وصفاءَ

أحبابي الأحباب في فجري

وأعشقهم ضحى ومساء

الوجه مني واحد

ألقى به

الأطهار والأشرارا

وأخو الوجوه

وإن تسلّق صاعدا

ظهرَ النجوم

وجاوز المقدارا

يوما سيسقط كالذباب

قماءةً وصَغَارا

❖❖❖

ولقد عشقتك يا حبيبة دائمًا

عشقًا، تساقط كالحيا مدرارا

ودبيب عشقك في دمي

ويشبُّ فيّ الجمر والإعصارا

❖❖❖

إني لعبلة عاشق

سأسمّع الدنيا

ولن أتوارى

وليأخذوا روحي إذا شاؤوا

ولكن.. سوف يبقى

حبها موَّارا

قدري.. ومجنون بها

هل يملك المجنون

أن يختارا

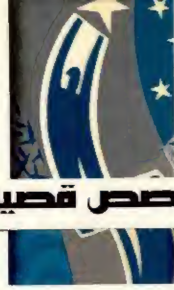
❖❖❖

النور الأزرق

سالم علي بن زقر
حضرموت ــ اليمن



غــريب فــيك يا وطني
يمر العــمــر أســئلةً
يضــيع بدربهــا الردُّ
وتيــهًــا مــا له فـجــرُ
وليس لوســعــه حــدُّ
فــيــا حــبًّــا هو الأزرقْ
أريـد لـديـك أن أحكـي
أريـد لـديـك أن أبـكـي
أريد لديك أن أســرحْ
أريد لديك أن أفــرحْ
أريد لديك أن أغــرقْ
أريد البــحــر والمطلقْ
ســأترك كل مــا عندي
وأرحل فــيك يا وطني
فــمــاذا أنت يا حبٌّ؟
أسَــفْحٌ أنت أم جــبلُ؟
حــريق أنت أم قُــبَلُ؟
ظــلام أنــت أم أمَــلُ؟
ســتـبـقى نورنا الأزرقْ
ســتبقى الريح والمطلقْ



فارس أحلام الفزاعات!

منصور العتيق

الرياض ـ السعودية

الفلاح (منيف) قال لي ذات ليلة بتكتم شديد:

- الحقل حقلي وأعرفه جيداً، لست مسؤولاً سوى عن فزّاعة واحدة.. لا أعرف من أين أتى كل هؤلاء..!

❖❖

رغم تراكم كل هذه السنين، سنين الصحراء التي لا يشبه طولها طول.. إلا أن أغصان مقرن التي تركها قبل اختفائه البعيد.. لا تزال معشبة في صدري..

لا أعرف ما الذي يدعوني لتذكره الآن، لنبش قصته من جديد.. لتذكر تلك الأحاديث القديمة (بتفاصيلها أحياناً) التي أكلنا بها طول الليالي البعيدة تلك. أهالي القرية لم يبذلوا من ذاكرتهم ما يليق باستضافته، الرجال شاخوا وشاخت معهم (هجينيات) مقرن شاعرهم القديم، نساء القرية يعتذرن بالخجل المفتعل عن الحديث الذي كان لذيذاً ذات يوم، شباب القرية كانوا أطفالاً آنذاك: لم يحزنوا بعد، ولم يتخيلوا إناثاً جميلات.. لذلك لم يجدوا معنى للالتفات إلى ذلك (الهواوي) الذي يهيم في الحقول.. ويجود بقصائده للريح.. للظلام.. وللفزاعات في ما بعد...

أذكر أنني في غمرة انتشاء القرية بمقرن كنت أخاف عليه منها.. عندما لفظته القرية خفت عليه من الريح، من المزارع التي يلجأ إليها شمال القرية.. من فزّاعات الحقول.. وقبل أن.. قبل أن (يتلاشى) أودع حكايته لدى منيف.. فخفت على الحكاية.. منه!

❖❖

منيف.. الفلاح الذي يملك كل التفاصيل.. قال لي:

- بعد حادثة الشيخ (بسام) صار مقرن يتردد عليّ كثيراً، يخصني بالحديث والشاي الذي يصنعه هو شخصياً، يتقرب إلي كثيراً.. توقعت أنه ينوي الزواج من ابنتي (هيلة).. لا أخفيك (استعددت) للعرس وفرحت، بل وبدأت (أجهز) هيلة.. لكن الوقت مرّ ولم يذكر مقرن شيئاً عن العرس، ولا عن هيلة.. إنه لا يتحدث عن النساء مطلقاً.. أذكر مرة زل لسانه باسم (سارة) على ما أذكر لكنه اعتذر كثيراً، وصار يزن كلامه بصورة ثقيلة.

❖❖

مثل حكايات الطفولة هذه القرية، ومثل أبطال الحكايات أهلها.. يؤدون دورهم المحدد ويذهبون.. يتوارون بعيداً.. يتلقفهم النسيان..

الشيخ بسام وحده هو الفاعل دائماً.. وهو من يبدي رأيه في كل شيء دائماً: يرسل إلى الكواليس أولئك الذين يعتقد أنهم قاموا بدورهم كاملاً.. ويرسل إلى ما خلف الشمس أولئك الذين يعتقد أن أدوارهم لا تحتاج إليها القرية..

(مقرن) حتى بوصفه شاعر القرية الوحيد لم يكن استثناء من قواعد الشيخ بسام تلك، بل كان الخيار الأول لجهره وأحاديثه المقتضبة المتجهمة.. لم يكن مقرن رجلاً جماهيرياً فحسب، إنما كادت القرية تسبّح بحمده في



يوم من الأيام، كادت تقيم ولاءات الحياة له، أن تفتعل الأفراح المؤجلة لكي تجد له مبرِّرًا للغناء..

كان الشعر قبل مقرن إكسسوارًا رديئًا للقرية، لا تحتاج إليه إلا لمامًا أو قد لا تحتاج إليه أبدًا.. كان الشعر (موظفًا) رسميًا يتقاضى راتبًا مقطوعًا بحسب مرات الثناء والمديح الكاذب.. وفي المساء يصير غزلاً لا تحفل به الإناث: حديث عن الكحل والثوب الموشى والعين العظيمة، وعن الشبه الغبي بالقمر.. ولا شيء غير هذا!

(هجينيات) مقرن جعلت القرية تتنفس الشعر وتثق به، عادت القرية تعرف دموع الرثاء وقيمة المديح.. النساء أجلن رغبات أزواجهن على قارعة الحديث وتذوقن ببريق العيون لذة الغزل. مقرن (يتغزل) بقلبه.. علّم القرية أصول تذوق الحديث.. الحديث الذي كان الرجال لا يجدون الوقت له في خضم الرغبات الليلية المتدافعة..

جعل مقرن القرية تصحو كل صباح، وتشارك الفلاحين العمل.. جعلها ترتدي الثياب الجديدة، وتنسى الشيخ بسام، وتنسى أمراضها المزمنة.. كنت ألحظ كل هذا في ترددي الشحيح بين القرية والمدينة، وأتعجّب: كيف يستطيع مقرن فعل كل هذا بالقصائد.. بمجرد قصائد؟!

❖❖

الفلاح الفقير منيف لا يمثل سوى ألم القرية اللازم ليعيش أغنياؤها بارتياح، عندما يجدني مهتمًا بحديثه يسترسل بحماس، ويغدق التفاصيل:

- سأكون صريحًا معك.. عندما طلب مني مقرن الزواج بـ سارة، تلك التي تغنى بها أمامي، ظننته يمزح.. قلت: وهيلة؟ فتفاجأ وكأنه يعتذر.. قال: إنه يريد سارة.. ويحب سارة.. حين قلت: ومن تكون سارة؟ قال: فزّاعة حقلك يا منيف..!

يشعر منيف بالحرج.. يفتعل سعالاً يملأ به الصمت الثقيل.. ويواصل الحديث:

- لا أنكر أن ما فعلته يعد استغلالاً رخيصًا، مقرن (هواوي) وقلبه (قلب عصفور) لكني لم أتفهم مشكلته..

أغرتني الحاجة فقبضت المهر كاملاً، تصنعت الفرح، وقلت: (الساعة المباركة).. (سارة لك)، آه كم يمزقني الخجل أمام نفسي، أنا الذي أقول: إن القرية تظلمني باستمرار.. استغل الفرصة الوحيدة، وأظلم مقرن!!

المزيد من الحرج، ومن افتعال السعال، ومن التفاصيل أيضًا:

- سلّمته إلى عروسه بعد أن نحيتها إلى مكان تستريح فيه ظلال الحقل دائمًا، حين عدت كنت أثقل على خطواتي، كأن قرية كاملة تستريح على كاهلي.. تألمت كثيرًا، أكثر من ألم خبز يابس يخدش جدار معدة خالية.. وأكثر من مرارة شاي الفقراء البائس.

أقنعت نفسي، عبثًا، أنني أسلم (قلب العصفور) إلى فزّاعة مختلفة، تعرف طريقة تحنو بها على العصافير المؤدبة.. لو كنت عاقلاً لقلت: إنها الحاجة الملعونة التي اضطرتني إلى كل شيء.. الحاجة الملعونة فقط.

❖❖

هكذا إذن..!

مقرن لم يتألم؛ لأنه انهزم.. تألم؛ لأن خصومه لم يحتفلوا بانتصارهم، تألم؛ لأنه مرّ كقصيدة تقليدية، لا احتفال لها ولا غناء.

ما زلت أتذكر (حادثة الشيخ بسام) ومساءها العكر.. ذلك الاحتفال الذي غيّر كل ما بعده هنا.. كان (عرس ابن راشد) يتخلص من مجاملاته ويستعد لتسليم دفته إلى مقرن، بدأت القصائد تمطر وكأنما غيث مختلف، ينبت فرحًا أكثر، دهشة أكبر، رقصًا أكثر جنونًا، فصاح الشيخ بسام في الجمع أن على مقرن أن يتوقف عن تدنيس احتفالات القرية وابتذال (زواجاتها) المباركة.. قال: إن على الأهالي أن يتوقفوا عن السفاهات ليبارك لهم الله في بنيهم.. قال: إن عليهم أن يتوقفوا عن دعوة (الهواوي) مقرن، وإلا فعليهم إيجاد شيخ آخر.. يعقد لهم.. يزوجهم ويفرقهم..

ما زلت أذكر: الأهالي وهم يتخلصون من مقرن تحت وطأة رتيبة، ينظفون ذاكرتهم خلف قصائده بدأب، ويختارون الخضوع باستسلام سهل.. كأنهم تآمروا مسبقًا بإحكام..

كانوا، رجالاً ونساءً، يقيئون القصائد ويكنسونها بقرف يحاولون ادّعاءه وإجادته، يعلّقون الملل - باختيارهم - على سحناتهم، ويثقلون أكتافهم بالرتابة، كان يكدّسون التجهم في الطرقات، وفي السوق الوحيد حتى صار ليل (شارع عشرة) و (سوق العصر) يبدأ مبكرًا: بعد الظهيرة ربما.

عبثًا حاولت أن أفهم، لكن الشيخ بسام كان يتراءى لي في كل مرة، شامتًا متكبرًا، والقرية تكمل مراسم الخضوع..

❖❖

عندما يقرر (منيف) إنهاء كل شيء.. يشهق قليلاً.. ويقول:

- بعد اختفاء مقرن صار أهالي القرية يتناقصون شيئًا فشيئًا.. وأكتاف الفزاعات تتأهب لعصافير الشعراء..!

❖❖

مثلما أثث مقرن ذاكرة القرية بجدارة، عاد الغبار القديم للشيخ بسام يطغى على كل شيء..

كنت وقتها أقرر إنهاء عادة التردد الشحيح على القرية، عندما حزمت حقائبي وانطلق (الوانيت) إلى لا وجهة مؤكدة.. مخلفًا وراءه (شارع عشرة) إلى الطريق السريع.. كنت ألتفت وأطيل النظر..

كان (العجاج) يغطي القرية بنهم، ويدفنها سريعًا في الأفق.

عام الطقس المجنون

حسين عيد مادي

الجيزة ـ مصر

«لكن الأرض التي تقاسمت معها البرد لن تكون قادرًا، أبدًا مرة أخرى، على أن تساعدها، لكن عليك أن تحبّها».

«فلاديمير مایاكوفسكي»

تدور القصة، التي سأحكيها لك، حول قريتي، التي تسمى مادفيل، وتشتهر بخصيصتين: البنجر والكذابين.

تنبأ عجوز القرية، الجد سلسو، أن الطقس في تلك السنة قد لا يمكن التنبؤ به، وأضاف أنه يعتمد في قوله هذا على ثلاث إشارات:

ـ إن طيور الغرّة المائية، التي تعبر فوق قريتنا كل عام، قد عبرت ولكن بواسطة القطار، فقد رأى ناظر محطة السكة الحديدية عربتي قطار ممتلئتين بها.

وإن ثمار الكرز قد تأخر ازدهارها؛ لأن تلك التي كانت على الأشجار، هي من ثمار العام المنصرم.

كما أن عظام الشعب القديمة لم تتوجع، فعانى نتيجة لهذا كل الأولاد الصغار من النقرس، والبنات من الروماتيزم.

واستطرد الجد سلسو، ولذلك فقد نرى أشياء غريبة من كل الأنواع.

وهكذا، مع حلول شهر فبراير جاء الربيع فعلاً. ظهرت كل أزهار الربيع، ذات صباح فريد. كانت هناك ضوضاء، كما لو أن شخصًا فتح مظلة هائلة، وها هي ذي كلها في أماكنها!.

بدأ اللقاح يتساقط في مجموعات من الأشجار، وكانت كل القرية تعطس بشكل وبائي من شدة حساسية غريبة تجلّت: انتفخ الأنف عند بعض الناس، جحظ مقبض باب بين عدد آخر.

نضجت الفاكهة فجأة: حتى إنك قد ترقد نائمًا تحت شجرة تفاح غير ناضج، لتستيقظ مغطًى بالعصير الحلو.

ثم جاء دور المطر، كي ينهمر كسلك معدني. قد تمطر لمدة ساعة واحدة في اليوم، لكن دائمًا فوق الموضع نفسه؛ بيت العمدة. ثم قد تبدأ سحابة كبيرة تجوب متمهلة فوق القرية ذهابًا وإيابًا، وحالما تصطاد شخصًا بقبعة، فإنها تنطلق! إنها تضربه بصاعقة صغيرة من البرق. ثم تهب رياح غريبة، عطرة، مثيرة للشهوة الجنسية، فيصبح الناس مستثارين، ويجرون إلى الأجمات بشكل ثنائي، أو ثلاثي، أو في مجموعات.

وفي إبريل، جاء الصيف فجأة، كانت درجة الحرارة مئة وست عشرة. نضج القمح وخبز في يومين، فصنعنا مئتي قنطار من الخبز. كان الجو شديد الحرارة، لدرجة أن البيض لم يكن يغلي فقط على أسطح السيارات، بل كان يغلي بالمثل أيضًا في مؤخرات الدجاجات، وهكذا صنعت أشياء غريبة من متتالية من الإزعاجات، حتى إننا قد نجد في الصباح أومليت البيض بين قش عش الدجاج، وتبخرت البركة في لحظة، ووجد السمك ملاذا في أنابيب الحمامات، ولم يكن هناك من طريقة لإخراجه، وهو ما أجبرنا على أن نأخذ حماماتنا مع سمك السلمون المرقط. وطارد سمك السلّور الفئران. وارتدى كل فرد منا قبعات قش، لكن غروب الشمس



ألهب الرؤوس، لذلك بدأنا نرتدي قبعات زنك أو قبعات مصفحة، وهو ما ترتب عليه أن جاء الجيش لتفقد أحوالنا، لأن دورية استكشاف قد أخطرت عن رؤية غزو من المرّيخيين لقريتنا مادفيل.

تمامًا بعد ذلك، بدأت الدنيا تمطر بردًا. بدأت في كل مرة بثلاث قعقعات من الرعد. ثم انفجرت السماء بصوت مرتفع. ها هي ذي تأتي! وقد تمطر بردًا بحجم رغيف العيش. وفي بيولو حصلوا على كتلة مطر بارد بحجم قرص بارما الحريف المستدير، كان في داخله غراب محفوظ بشكل كامل.

ثم أصبح الجو حارًا ثانية، حرارة إفريقية. نام الناس في الطريق أو في داخل الثلاجات وسط نسيج معزول. عمل بائع الأيس كريم لمدة أربع وعشرين ساعة يوميًا، وبعد ذلك الصيف اشترى لنفسه ناطحة سحاب في مونتريال.

وأخيرًا سقطت ورقتا شجر في الخريف، اثنتان منها فقط، واحدة في فناء المدرسة، والثانية في روفازيو. بدا أن الأوراق الأخرى، قد التصقت هناك بصمغ، ولم يكن هناك من سبيل لتحريرها، ولو باستخدام مقصات. كان العنب ناضجًا ومالحًا، أقسم، مالحًا مثل سمك الرنجة. وكان نبيذ ذلك العام يصلح فقط لمشويات المواسم.

اعتدلت درجة الحرارة، وفي نوفمبر، وعلى الرغم من التأخير، رجعت طيور السنونو، طائرة على نحو جماعي من تسعة ملايين. لم يعد أي فرد يغادر بيته بعد ذلك، ليس مع تلك الصيحات الهائلة لعشرة آلاف طائر. ثم رحلت طيور السنونو، ووصلت طيور اللقلق، فحررت ستين صينيًا، ورحلت ثانية.

ثم حلّ الضباب. لم يكن ممكنًا أن ترى أبعد من أنفك. الوحيد، الذي لم يكن لديه أي مشكلات بالنسبة إلى التجوّل، هو آنبيس، الذي كان طول أنفه قدمًا ونصف قدم، بينما كان بقيتنا تتجول مع كشافات ضباب على رؤوسنا، حتى إن كثيرًا منّا قد أخطؤوا الوصول إلى بيوتهم، التي لم تكن سيئة تمامًا فعلاً، طالما أن هناك دائمًا مفاجآت تنتظر الفراش.

كانت الشاحنات، التي تعبر القرية بسرعة خمسة وسبعين ميلاً في الساعة، هي الجزء الأكثر خطورة، لأن سائقي الشاحنات لم يكن لديهم أي مشكلة مع الضباب. كان علينا أن نبني قناطر من سطح إلى سطح، وممرات تحت الأرض. وفي النهاية قررنا أن نبني حائطًا كبيرًا جميلاً في منتصف الطريق. وبعد ذلك، لم يعد هناك سائقو شاحنات، فقط بعض بقايا منهم.

ثم جاء الشتاء فورًا، فأمطرت جليدًا لمدة عشرين يومًا متتالية، وسرعان ما دفنت كل القرية بواسطة زائرنا

الأبيض، بينما برزت على السطح مداخننا فقط. لكننا لم نفقد أعصابنا أبدًا، فخرجنا في فرق، كي نجرّف الجليد: جرّف هؤلاء الذين يسكنون الجزء الأقرب من مادفيل الجليد إلى الجزء الأبعد منها، والعكس بالعكس. وبهذا الأسلوب ظلّ الجليد بنفس الارتفاع، لكننا حافظنا على أنفسنا دافئين.

استمرّ هيكتور الفرّان في العمل بملابسه الداخلية؛ لأن الفرّانين يعتبرون منيعين، لا يتأثرون بالحرارة. كان يمرّ كل صباح، مسقطًا خبزًا في كل مدخنة. وكي نتبادل المعلومات، كنّا نرسل إشارات دخانية، ونحكي في المساء نكتًا دخّانية.

للهول! وازدادت الطيور نحافة، والثعالب أيضًا. مرّت بنات عرس عبر الأقفال، وهبطت الذئاب إلى الوادي، ثم إلى القرية، حتى إننا نجدها في غرفة الطعام مع شباشب في أفواه أولئك المتملقين. وفي غضون ذلك، ظلّ بيض ألم المؤخرة الأبيض يصل. تركت عدة قرى معزولة، وقد قيل إن عشرين أسرة في مونت ماكو انتهت من أمر الطعام، وكانت تأكل حبوبًا فقط. أصبحنا مرعوبين بشكل مؤلم؛ لأنه في مونت ماكو كانت هناك فعلاً أسرة اسمها «حبوب»؛ لذا ذهبنا كي نلقي نظرة. كانت تلك الأسرة الفقيرة فعلاً تأكل حبوبًا بدرجة أدنى



كان أفضل حكائي نكت الدخان، هو رجل الإطفاء.

نحن - البشر - لم نكن نأكل بهذه الدرجة من السوء. كان لدينا خبز، وجبن مادفيل، ثلاثة آلاف سعرة حرارية لكل قطعة. ومع ذلك، كان الأمر صعبًا بالنسبة إلى الحيوانات. لم يكن أمام الأبقار أي عشب كي تأكله، كما رفضت شرائح اللحم المفروم. كنّا ننعشها لأيام بواسطة البصل، وكانت تستنشق في المزود ما قد يقتل طفلاً، يا

من (ب)، وكان الخمسون منهم يعيشون جميعًا في البيت نفسه كي يوفروا الخشب، وذلك بغذاء حمية (بولوتا)، حتى جعل كل أولئك المزعجين المكان يبدو مثل منطقة حرب. كما علّقت حبّات الجد الكبيرة بشبكة صيد، واستعادها ثانية إلى الإناء، حتى لا يتبدد أي شيء منها.

في نهاية العام، بلغ ارتفاع الجليد عشرين قدمًا، واستنفد الفرّان كل الشعير. طلبنا العون من المدينة، وقد

أرسلوا إلينا ثلاث طائرات طوّافة، لكنها لم تكن من العظمة لتؤكل، ربما باستثناء المقاعد. لم تكن الأفكار قد انتهت بعد، حين أعلن الجد سلسو أن الشخص الوحيد، الذي يمكن أن ينقذنا هو يوفيزينا.

كان يوفيزينا ميكانيكيًا، اعتاد أن يصلح كل شيء، بدءًا من الرافعة الهيدروليكية الضخمة، وانتهاء إلى زجاجة طفل وليد. وظلّ في ذاكرة سكان القرية مادفيل الجمعية، أنه لم يكن هناك شيء لا يمكنه إصلاحه. شرحنا له المشكلة: ذلك هو، ذلك الذي انكسر لم يكن شيئًا عدا الطقس. فكّر يوفيزنا في الأمر لوهلة، ثم قال: إذا كان قد انكسر، فيمكن إصلاحه.

درس الموقف، ثم جذب رافعة، وقطعتين من المطاط، وبعض المعجون، ومضخة، واختفى وراء الأفق.

عاد فعلاً في ذلك المساء. أوضح أن المشكلة كانت بسيطة؛ إذ عندما صعدت الشمس عند الشروق من مونت ماكو، أوقعها هي نفسها في شرك شجرة تمزقت بفعل البرق الذي ثقبها.

لقد وجد أنها كانت لا تزال هناك في الحقيقة، وكانت من ناحية أخرى شديدة الفراغ، حتى لتشعر بالأسى من أجلها. فلكنها يوفيزينا، ثم ثبّتها في مكانها بواسطة المضخة. فورًا، قال ستزهو الشمس ثانية، وتستعيد مسارها. وفي الحقيقة، ظهرت الشمس تدريجيًا، باهتة في البداية، ثم أكثر استدارة، وهي تتألق صاعدة فوق مونت ماكو، باعثة الحرارة في كل شيء.

ذاب الجليد، وعاد كل شيء إلى طبيعته، ما عدانا.

الهوامش

❖ الكاتب الإيطالي ستيفانو بيني: ولد في بولونيا بإيطاليا عام ١٩٤٧م. بدأ حياته صحفيًا، عمل خلالها في كثير من الصحف والمجلات الإيطالية، مدليًا بآرائه في الأحداث المحلية والعالمية، وفي أثناء ذلك مارس كتابة القصة القصيرة والرواية والشعر، كما كتب للمسرح والسينما والأطفال.

تعتمد كتاباته القصصية غالبًا على مزيج من الواقع خاصة الجوانب السياسية، كما يستخدم الرمز والحيوانات المتكلمة.

كان كتابه الأول «مشرب الرياضة» (١٩٧٦م)، ثم رواية «أرض» (١٩٨٣م)، التي لفتت أنظار النقاد الأوربيين إليه. ثم توالت كتبه بعد ذلك، وكان منها: «يصل الحب عاجلاً أو آجلاً» (١٩٨١م)، و«الكوميديون يخيفون جيريري» (١٩٨٦م)، و«مشرب تحت البحر» (١٩٨٧م)، و«رقص» (١٩٩١م)، و«أرواح» (٢٠٠٠م).

يبدو ستيفانو بيني صعبًا على التصنيف؛ لأنه يكتب أنواعًا أدبية متعددة بنجاح، وللمثال يبدي في كتاب «مشرب تحت البحر» (١٩٨٧م) تجارب من كل الأنواع الأدبية، بدءًا من قصص الجريمة إلى المآسي السياسية، ومن حكايات نصف ميثولوجي إلى القصة العلمية. لكن ما يجمع كل هذه المغامرات الأدبية، هو حب الحكي نفسه، الحكي الذي يظهر للعيان ما هو خفي تحت العادي والمألوف.

يطلق ستيفانو بيني على الحكائين عادة أسماء مختلفة، منها «السيدة الشابة ذات القبعة»، و«جنية البحر»، و«الكلي الأسود»، إلخ... ويعتمد عادة على أن كل ما يقدمه غير تقليدي، لكنه لا يتوجه بأي قصيدة للقارئ، وهو يعبّر عن ذلك «إنني لا أعرف إذا كنت ستصدقني»، ثم يعترف «إننا نقضي نصف حياتنا نسخر مما يؤمن به الآخرون، والنصف الآخر نؤمن فيه بما يسخر منه الآخرون. وهكذا، فإذا اخترنا أن نكون إلى جانب الساخرين، فإنها ستكون خسارتنا».

اخترنا قصة «عام الطقس المجنون» التي نشرت في مجلة «ليتراري ريفيو» عدد ربيع عام ٢٠٠٣م، وقام بترجمتها من الإيطالية إلى الإنجليزية كل من تشاد ديفيدسون، وماريلال فلتزين موريس. يتجلى في هذه القصة أهم ما يميّز أدب ستيفانو بيني من انطلاق جامح إلى أجواء خيالية لا تحدّها حدود، مع لمسات تهكم لامعة!

في الحياة

مجدولين أحمد أبو الرب
عمان ـ الأردن

لم تكن هذه المرة الأولى التي يفكر فيها بعرض مساعدته على الآخرين، ولكنه في هذه المرة أحسن بتردد غير مسبوق وهو ينظر إلى النعش.

بالأمس، غرس شجرة الزيتون الصغيرة هذه بجانب القبر، واليوم قام بريها، وداعبها بحنان.

لقد اعتاد طوال عمره أن يعطي، ولم يكن في كثير من الأحيان ينتظر أن يطلب منه الآخرون حاجتهم من خدمة أو مال، ولم يتوانَ حتى عن مشاركتهم في حل مشكلاتهم. فلماذا يتردد الآن؟

الشواهد الصامتة في المقبرة، كان بعضها يحمل أسماء لأصدقاء له، يفتقدهم كثيرًا، وتذكره دائمًا بأكبر هَمٍّ لجيله، جيل الشيخوخة. فكلما مضى أحد أصدقائه إلى العالم الآخر، شعر الباقون باقتراب تلك الساعة، وكلٌّ يتساءل في نفسه، وأمام الآخرين أحيانًا: دور من هو التالي؟

عاد للنظر إلى النعش المسجّى، أين أصدقاؤه؟ أين محبوه؟ بأي أرض هم؟

عندما كان يسقي شجرة الزيتون، لفت نظره موكب غريب لهذا النعش. لا، لم يكن موكبًا. وهذا هو الغريب.

منذ أسابيع وهو يأتي ليتفقد القبر ويجلس بعض الوقت قربه، كان يشاهد الكثير من الجنازات تدخل المقبرة، كل ميت تصحبه مجموعة من أهله. أما هذا فلم يكن معه غير رجلين وحارس المقبرة. وضع الرجلان النعش على الأرض ليدور جدل كبير بينهما وبين الحارس؛ مما أثار فضوله، فاتجه نحوهم ليتبين الأمر.

كان النعش لرجل مغترب، ولم يكن له أهل أو أصدقاء في هذا البلد، وهذان الرجلان هما عاملان شاركهما في العمل بضعة أيام قبل وفاته في حادث.

جاء به الرجلان تطوعًا، لكنهما ما لم يرتبا مسبقًا للدفن، وها هو ذا الحارس يخبرهما أن يأتيا به غدًا بعد



أن يسويا موضوع قبر لهذا الرجل.

أما هو فعاد ليقف قرب زيتونته مستغربًا أن تحدث مثل هذه الأمور، وشعر عندها بأهمية ما فعله رغم معارضة أبنائه.

لم يكن يرغب في أن يحمل أبناءه أي عبء، فقام بشراء قبره هذا منذ أسابيع، وبالأمس فقط غرس زيتونته الصغيرة هذه، وأثنى عليه من بقي من أصدقائه.

فكر بالرجل المسجّى، لم يكن المسكين يعلم بمصيره هذا. ماذا لو أعطيه قبري؟ شعر بتردد، وهو الذي كان لا يتردد بمساعدة أحد.

هل أفعل؟!

نظر إلى النعش، ثم إلى الرجال الثلاثة، ثم أشار بحركة من يده قائلاً: هاتوه، فهذا قبره.

في اليوم التالي جاء إلى المقبرة، روى الزيتونة الصغيرة، ثم غادر وهو يشعر بسعادة غريبة.

تعقيب على مقال «هل العربية قابلة للذوبان؟»

طالعت بالفيصل العدد (٣٤٨) جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ بباب خاتمة المطاف مقال الأستاذ/ محمد سالم «هل العربية قابلة للذوبان»؟! فكان هذا التعقيب.

اللغة العربية منذ أقدم عصورها لغة علم وحضارة حتى في العصر الجاهلي؛ لذا نرى بعض المؤرخين المحدثين (١) ينادون بأن المجتمع العربي الجاهلي كان مجتمعًا آخذًا ببعض أسباب الحضارة، ويستدلون على ذلك بكثرة ألفاظ اللغة الدالة على القلم، والورق، واليراع، والأنبوبة، والقرطاس، والرق، والصحيفة، ومن ألفاظ الدالة الكتب: الصك، الزبّور، الرقيم، السِّفُر، الوصيرة (الصك للسجلات) وهكذا (٢).

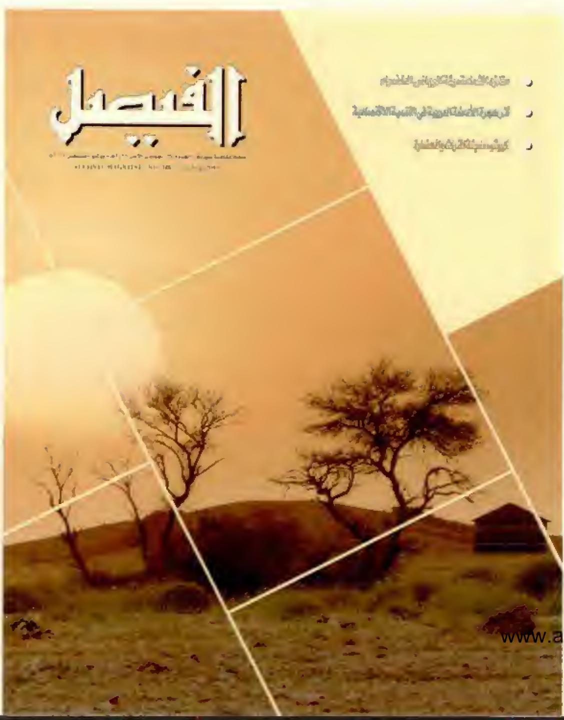
كما أن هناك فريقًا من المؤرخين يرون أن الشعر الجاهلي لم يُحفظ عن طريق الرواية والسماع فقط، وإنما كانت الوسيلة الأولى لحفظه هي القلم والكتابة، ويستدلون على ذلك بكثرة ورود كلمتي الكتابة والقلم في ألفاظ الشعر الجاهلي أو في بعض تشبيهاته وصوره؛ فالمرقش الأكبر مثلاً يقول: مشبهًا بقايا أطلال منزل الحبيبة ببقايا آثار سطور خطها قلم.

الدار قفز والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ويستهل لبيد معلقته بأبيات يصور فيها أيضًا بقايا أطلال الحبيبة تصويرًا أقرب إلى تصوير المرقش، ونجد هذه الصورة لدى شعراء آخرين.

وكان بعض الشعراء الجاهلين يكتبون أشعارهم، بل كتب بعضهم، كلقيط بن يعمر الإيادي، رسائل شعرية مرسلة إلى قومه، وكان بعضهم يعرفون لغات أجنبية، كعدي بن يزيد، الذي كان يعمل في بلاط ملك الحيرة.

وليس أدل على معرفة الجاهليين الكتابة والقراءة من أن معلقاتهم الطوال كانت تذاع وتشتهر بين الناس بسبب تعليقها مكتوبة على جدار الكعبة المشرفة (٣) وبعد ظهور الإسلام أصبحت اللغة العربية لغة عقيدة قدم أبناؤها للعالم أرقى الحضارات وأسماها، ويكفي أن نعرف أن هذه اللغة تربط العلم والثقافة بالعقيدة ربطًا لا فكاك منه؛ فالقرآن الكريم يرفع العلم والعلماء إلى أسمى منزلة، ويقسم الله في



محكم آياته بالكتاب الكريم: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ القلم :١.

كما حضّ القرآن الكريم على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على الرسول الأمين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة كتب ومكتبات.

لقد أعطى الإسلام دفعة قوية للاتجاه الحضاري في اللغة العربية، ولذلك نرى شعوب البلاد المفتوحة تسرع إلى تعليم اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي، ولم يمض نحو قرن من الزمن حتى أخذت العربية تسود في كل أنحاء العالم الإسلامي، لا بين المسلمين وحدهم، بل غيرهم أيضًا ممن بقي على دينه القديم وليس في البيئات التي كانت نائية أيضًا في إيران، ومصر، وبلاد المغرب، وهي بيئات لم يكن لها بالعربية عهد من قبل، فإذا هي تتعرب وتتعرب معها الأطراف الغربية للقارة الأوربية في الأندلس. ولا نكاد نتقدم في هذه البيئات بعد فتحها بنحو قرن حتى نجد العربية قد ملكت ألسنة الناس وقلوبهم في جميع أنحائها القريبة والبعيدة (٤).

وقادت اللغة العربية العالم حضاريًا وأدبيًا وعلميًا وفلسفيًا طوال تسعة قرون منذ القرن الثامن الميلادي حين كان نشر المعارف والعلوم يكاد يقتصر عليها طوال المرحلة التاريخية التي ساد فيها العرب العالم. وهي مستعدة بطبيعتها للعموم والشيوع، والنهوض بالأمانة الإنسانية، والتاريخ شاهد صادق على هذا.

- كيف للعربية أن تحافظ على عالميتها؟

إذا أردنا للعربية أن تحتفظ بمكانتها اللائقة في دنيا العالمية فيجب علينا نحن أبنائها خوض غمار العلوم الحديثة بها، وعدم الوقوف بها عند النظرة القاصرة على أنها لغة شعر وأدب فقط؛ فهي قادرة على التعبير عن العلوم ومصطلحاته ومسايرة الحضارة الحديثة، فأين هو نتاج أبنائها العلماء من الاختراعات والابتكارات، وتسميتها بمسميات عربية تنتقل إلى اللغات الأخرى بلفظها العربي؟ مما يضعها في مصاف اللغات العالمية بحق لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تعبر عن مكانة الناطقين بها! والمجتمع الأكثر تفوقًا هو القادر على أن يفرض وجوده على الآخرين.

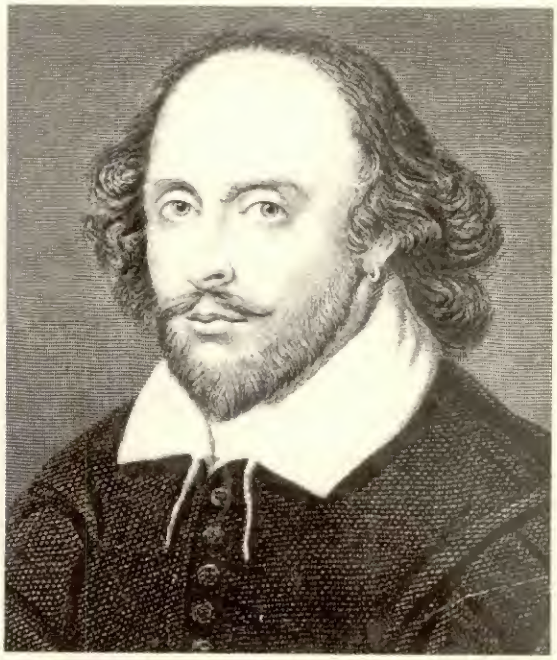
بعض المتشككين يقولون: إن لغة العلم لم تعد هي اللغة العربية، إذ إن فروع العلم التجريبي والرياضيات أصبح يستخدم لغة أخرى، وهي الإنجليزية. ولكن المتأمل لدقائق التاريخ يجد أن الحقيقة عكس ذلك تمامًا؛ لأن اللغة العربية التي حوت علوم العرب وفلسفتهم ظلت تصب في أوربا وجامعاتها منذ بدؤوا في ترجمتها في القرن الحادي عشر الميلادي، ومضوا يتعلمونها حتى القرن السابع عشر الميلادي، وأخذت تضيء لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة. وأصاب العربية الركود قرونًا لابتعاد أهلها في عصور الظلام عن الأخذ بالأسباب، وليس لخلل بها، ثم عادت إلى الازدهار ثانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وفي القرن العشرين انفتح العرب على علوم الغرب، ونشطوا في ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية فما عجزت العربية عن العلوم الحديثة، ووضع بالعربية معاجم للعلوم الحديثة كمعجم محمد شرف الطبي ١٩٢٦م؛ ويشتمل على أربعين ألف مصطلح طبي، فضلاً عما وضعته معاجم اللغة العربية في القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أربعة عشر معجمًا علميًا، وليس في الجامعات المصرية علم غربي يدرس فيها الآن إلا وفي المجمع القاهري معجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلاتها العربية.

معنى هذا أن اللغة العربية هي أكثر اللغات اتساعًا، ومـا زالت في اتسـاع إلى اليـوم، لأن مطالب الحيـاة تضطرنا إلى اشتقاق ألفاظ جديدة، ونحت أخرى من ثوب العربية الفضفاض.

صور من الماضي تثبت عالمية اللغة العربية

اللغة العربية ليست قاصرة عن مسايرة الحياة وتطوراتها منذ دفع بها الإسلام إلى ارتياد آفاق العلم التجريبي، حتى صارت لغة العلم، كما هي لغة الدين والأدب، ولم يطرأ عليها شيء يخلع عنها هذا الثوب الذي كساها به الإسلام.

إن علماء العرب لم يكتبوا أعمالهم التي نهل منها الغرب، وكانت سبب رقيه ونهضته إلا اللغة العربية، عندها صارت وعاء للعلوم، وأصبح لها اليد الطولى، والسيطرة على سائر لغات العالم أجمع. وقد رأينا كثيرًا من رواد ومشاهير الأدب العالمي هرولوا إلى تعلم اللغة العربية بعدما استهوتهم جماليات الثقافة العربية الإسلامية أمثال: بوشكين، وتولستوي وغيرهما. ويكفي لإجمال الأثر الذي تركه الأدب الإسلامي باللغة العربية في آداب الأوربيين أننا لا نجد أديبًا واحدًا من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية، ومنهم: شكسبير، وأديسون، وبيرون، وسوزي، وكولردج، وشلي بين أدباء الإنجليز، ومنهم: جيتي، وهردر، ولسنغ، وهيني بين أدباء الألمان، وفولتير، ومنتسيكو، وهيجو بين أدباء الفرنسيين، ولافوتين الفرنسي الذي صرح باقتدائه في الأساطير بكتاب «كليلة ودمنة» الذي عرفه الأوربيون عن طريق المسلمين ولغتهم العربية وهذه أمثلة لسطوة اللغة العربية في غير أرضها ففي ذلك العهد



شكسبير



فولتير

الزاهر كان رجال العلم والفكر الغربيون المختلفة يعترفون بوجه عام أن التبحر في العلم والفلسفة لا يمكن أن يتم من غير درس المؤلفات العربية كان المفكرون المتعصبون منهم يتساءلون هل يمكن الاستغناء عن اللغة العربية في تحصيل العلوم. في ذلك الوقت كانت اللغة العربية هي التي يتكلمها جميع مثقفي العالم سواء كانوا في روما أو بيزنطة، أو في الهند، بل إن أحد القياصرة المثقفين وهو فردريك الثاني كان يؤلف كتبه باللغة العربية وكان بينه وبين الملك الكامل الأيوبي ابن شقيق صلاح الدين الأيوبي - مراسلات مطولة يستفسر فيها عن بعض المسائل الفكرية (٥).

وفي القرن الرابع الهجري وجدنا أحد كبار القسس في مصر يشكو من مر الشكوى؛ لأنه ألف كتابًا في تاريخ الأقباط عنوانه «سير الأدباء البطارقة»، واضطر مرغمًا أن يؤلفه باللغة العربية لا باللغة القبطية؛ لأنه لم يجد في مصر حينذاك من يفهم اللغة القبطية، وهي لغة المصريين التي كانت شائعة بينهم عند الفتح الإسلامي (٦) وما كتبه الإسباني الفارو في القرن التاسع الميلادي واصفًا إقبال قومه على العربية، ومصورًا أسفه لهذا الإقبال بقوله: «إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية، وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرهم». كما ساء ذلك أحد كبار الإسبان المتعصبين فكتب يقول: «إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم، ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون باللغة العربية، ولا يفعلون ذلك لدحضها والرد عليها، بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح، فيا للأسى إن المسيحيين قد نسوا لغتهم فلا نكاد نجد فيهم اليوم واحدًا في كل ألف يكتب بها خطابًا إلى صديق. أما اللغة العربية فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب».

أما الإيطالي - بترارك - في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي فكتب صارخًا «ماذا تقولون؟ هل استطاع شيسرون أن يكون خطيبًا بعد ديموستين، وصار فيرجيل شاعرًا بعد هوميروس، وأنتم تتوهمون مع ذلك بأنه لن يتبع أحدًا من العرب؟! نحن قد ضاهينا اليونان حتى سبقناهم في بعض الأحيان، وضاهينا، وسبقنا بذلك جميع الأمم وأنتم تقولون الآن إننا لن نضاهي العرب!! هل تخدرت عبقرية الطليان إلى هذا الحد (٧)؟

يتبين من هذه الصيحة الحماسية أنه في القرن الرابع عشر الميلادي كان في البلاد الأوربية من يقول بعدم إمكان مضاهاة العرب، ومن يعتقد باستحالة الاستغناء عن اللغة العربية في الشؤون الفكرية والعلمية. أفليس المؤلم حقًا أن تنعكس الآية الآن؟! وبعد كل هذه الأمثلة تؤكد لنا قوة اللغة العربية وعالميتها وانتشارها بين حضارات تختلف عنا في أساليب الحياة وأنماطها ومعاييرها، كما تؤكد أن الأمل قائم في حفاظنا أولاً على مقوماتنا، وإحدى سمات شخصيتنا الإسلامية والعربية، وثانيًا في نشرها بين سائر الأمم، كما فعل أجدادنا وسلفنا الصالح.

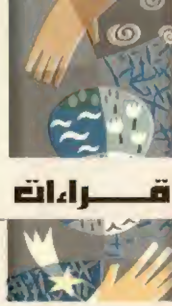
صلاح عبدالستار محمد الشهاوي

مصر - طنطا - نواج ٣١٧٣٢ المستشفى

قسم الأشعة

المراجع

١. جرجي زيدان في كتاب «تاريخ أدب اللغة العربية ج١»، والدكتور أحمد الحوفي في كتاب «المرأة في الشعر الجاهلي».
٢. سعد دعبيس. لغتنا الجميلة والحضارة الإنسانية، مجلة الفيصل العدد ٢٨٢ ص٥٨.
٣. المزيد عن قضية كتابة الشعر الجاهلي في مراجعها الخاصة بذلك، وعلى الأخص كتاب د. ناصر الدين الأسد «مصادر الشعر الجاهلي».
٤. د. شوقي ضيف «تاريخ الأدب العربي» الجزء الثالث ص٩١ ، ٩٢.
٥. عبدالوهاب الأسواني «عاشق الأساطير»، المجلة العربية، العدد ٢٩٩ ذوالحجة ١٤٢٢هـ.
٦. د. محمد كامل حسين «أدب مصر الإسلامي»، عصر الولاة ص١٤٤.
٧. محمد السيد محمود راضي «العربية لغة العلوم والحضارة» ص٩٠.



الحوار الحضاري بين المملكة العربية السعودية والفاتيكان

مطيع النونو

الرياض ــ السعودية

أول مرة منذ نزول الشريعة الإسلامية على سيد المرسلين، وخاتم الأنبياء الصالحين محمد بن عبدالله عليه السلام قبل ما ينيف على خمسة عشر قرنًا. أعلنت الكنيسة المسيحية الكاثوليكية «الفاتيكان» ـ التي تشمل أكبر طائفة مسيحية عالمية ـ اعترافها الصريح بالعقيدة الإسلامية السماوية. كما أكدت أن الدين الإسلامي يسهل للجميع أكثر من أي دين آخر، اتجاه الفرد بنفسه إلى الله الأحد؛ لأنه يقدس نهاره بإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم.

وأوضحت الكنيسة الكاثوليكية أن الصلاة مع الجمهور هي فعل إيمان يتجلى بالبساطة والتجرد الكلي، والمسلم في صلاته لا يطلب شيئًا لنفسه، والشيء الذي يطلبه هو أن تشمله نعمة الله؛ لأن الصلاة عند المسلم هي اعتراف علني بربوبية الله، فهي شكر له، وعمل وعبادة الله، الشمس المضيئة للنفوس. وهذه الدلائل الموثقة التي تجمعت لدى الكنيسة الكاثوليكية من عدد من الكتب الإسلامية التي تتحدث عن المواقف الصحيحة لشريعة الإسلام، وهي التي وثقها كتاب الله «القرآن» العظيم، إنما تنطلق عفوية من الأرض إلى العلاء، إلى السماء، كما ترتفع المآذن البيضاء نحو القبة الخضراء، وهو ما صدر عن لسان مسيحي فرنسي عن وحدانية الله تعالى: (لا إله إلا الله).

اعتراف وتأكيد

وقالت وثيقة الفاتيكان بكل صراحة: «إن كبيرة الكبائر هي: من يقول بأن لله شريكًا، وهذه خطيئة المسيحي الكبرى في نظر الإسلام، إذ يقول المسيحي بالثالوث الأقدس، بينما يقول المسلم بوحدانية الله تعالى، ويؤكد المسلمون من دون لبس، وبقوة، إيمانهم في سر الله الواحد، يشدّد علمهم الديني، كما عبادتهم وتقواهم الشخصية، على هذا الإله الأكبر، السيد الذي لا يدرك، الذي ليس له مثيل، والإله الأوحد، إنه الكائن المطلق، الذي يؤكد المؤمن وجوده وسلطانه الكامل على الخليقة، والذي يعترف بذاته أنه تابع له بشكل كامل، وخاضع له



حوار الحضارات بين المملكة العربية السعودية والفاتيكان

في إطار الحوار الإسلامي المسيحي

١٣٩٢ ـ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م

مطيع النونو

/الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

بشكل تام. إن هذا التأكيد للعظمة الإلهية المطلقة ـ التي يراها المسلم مشتقة من وحدانية الله ـ هي روح الإسلام. وأن رسالة الإسلام هي الديانة الوحيدة النهائية».

كما اعترفت الوثيقة وأكدت: لقد خاطب الله البشر، وهو ما يردده المسلمون والمسيحيون كعقيدة جوهرية في ديانتيهما، ويؤكد المسلمون أن الله قد ترك لهؤلاء وأولئك «قوانين»، وحدهم الوثنيون (الملحدون) هم من دون «قانون». إن المسلمين واليهود والمسيحيين هم «أهل كتاب». ويشدد المسلمون على الشريعة، فهم يجدون الكلمة في كتاب «منزل» من لدن الخالق. وسوف يسعى المسيحيون إلى الامتثال إلى هذه الكلمة الإلهية التي أصبحت «بشرية» عبر الاهتداء المستمر إلى الروح المعبر عنه بهذا الشخص، وسوف يجهد المسلمون بتطبيق تعاليم الكتاب بحرفيتها. ولهذا السبب سوف تؤكد روحانية مسيحية متناسقة مع الفكر الإسلامي، وسوف تشدد الروحانية المسيحية، الموجهة نحو حوار إسلامي مسيحي، إذن، بالأحرى على هذا الحضور الحالي، واليقظة لكلمة الله.

لذلك التقت براهين أساسية في منتصف العقد السادس من القرن العشرين الماضي بالنسبة إلى مواقف الطائفة المسيحية الكاثوليكية في العالم الغربي في أوربا والولايات المتحدة، عن العالم الإسلامي وعن شريعته السماوية عندما قامت حكومات يسارية ماركسية متطرفة في بعض الدول العربية، وهي لا تتمشى مع الرسالات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. وقد تضر بمصالح منطقة الشرق الأوسط بكاملها، والتي تضم العالمين العربي والإسلامي مما أظهر تغييرات جذرية على أعلى المستويات، تهدف إلى تحولات إيجابية في مجال العلاقات بين الأديان المنزلة على الأنبياء والرسل وهم: موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

دعوة إلى الحوار

وقد ثبت لكبار العلماء والكرادلة للفكر المسيحي ولرجال

القانون، بعد دراسة مبادئ الشريعة الإسلامية وتمحيصها بدقة: أن شريعة الإسلام وقيمها وأهدافها الإنسانية مجهولة في العالم الغربي، وبكلمة أوضح محكوم عليها غالبًا بالأحكام المغرضة، والافتئات عليها، افتئاتًا صريحًا.

لذلك ظهرت في العقد السادس من القرن الماضي تلك التغييرات الجذرية على أعلى المستويات في العالم المسيحي، بعد أن أطلق كبار رجال الفكر والعلم في القارة الأوربية صيحات حضارية منفتحة لإعادة النظر في الحياة البشرية كلها، وإقامة حوار مسيحي - إسلامي مع أكبر دول إسلامية في العالم، وهي المملكة العربية السعودية بوصفها الدولة الوحيدة التي تتجه إليها أنظار كل العالم في القارات الخمس، وتطبق شريعة الإسلام نصًا وروحًا من خلال دستورها، الذي يقوم على القرآن العظيم، كتاب الله المصدق، كما أنها تتولى رعاية الحرمين الشريفين: المسجد الحرام في مكة المكرمة قبلة المسلمين في صلواتهم الخمس يوميًا، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأمام كل هذه المعلومات التي تجمعت أمام كبار العلماء والفكر المسيحي رفعت اقتراحات إيجابية لقداسة البابا بولس السادس بطريرك الفاتيكان للديانة الكاثوليكية في العالم، دعت البابا إلى عقد المجمع الثاني للفاتيكان في روما مدينة «الكثلكة» لاجتماعات سرية متواصلة بدأت عام ١٩٦٢م، واستمرت ثلاث سنوات حتى عام ١٩٦٥م، وكانت على جانب كبير من الأهمية، شارك فيها كبار قادة العالم المسيحي الكاثوليكي، وهم الكرادلة أعضاء الكنيسة، وبلغ عدد الأعضاء (٢١٥٦) كردينالاً، وصدر قرار تاريخي عن المجمع الفاتيكاني بالإجماع بضرورة حوار مسيحي مع الإسلام، بعد أن أضحى الجنس البشري على مر الأيام متحدًا بشكل أوثق، وحيث تكثر العلاقات بين مختلف الشعوب، وتبحث الكنيسة باهتمام أكبر علاقاتها مع الديانات غير المسيحية، وفي طليعتها الإسلام؛ بهدف تشجيع الوحدة والمحبة بين البشر، وحتى بين الشعوب تبحث الكنيسة أولاً الأشياء المشتركة بين البشر التي تدفعهم إلى أن يعيشوا معًا في حياتهم.

نور العالم

وصدر عن الفاتيكان نداء إلى الشعوب المسيحية تحت عنوان (وثيقة نور العالم) «توجهات من أجل حوار المسيحيين والمسلمين». Orientations Pour Un Dialogue Entre Chretiens Et Musulmans. وكانت الوثيقة تفيض بتفنيد الرؤى التقليدية التي كانت للمسيحيين عن الإسلام، وتعرض ما هو حقيقة، وبشكل مفصل وواقعي، إذ تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن قدرية الإسلام، الذي يتمسك بالتشريع الإلهي الصحيح من تعصبه في هذا المجال العقائدي، وإلحاحه بوحدانية الإيمان بالله الواحد.

وقالت الوثيقة: تنظر الكنيسة كذلك باحترام إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحي، الدائم، الرحيم، القدير، خالق السماء والأرض، الذي تكلم إلى البشر، إنهم يسعون إلى الخضوع بكل جوارحهم لأوامر الله حتى ولو كانت تسترق، كما خضع إبراهيم لله، فالإيمان الإسلامي يشير إلى إبراهيم بكل طيبة خاطر،

وثيقة الفاتيكان تتألف من ١٣٥ صفحة من الحجم المتوسط. وقد عرضت الكثير من الآيات القرآنية مع تفسير لمعانيها، وشرح لتلك الآيات. كما أكدت أن النبي محمدًا رسول الإسلام ليس مؤلف القرآن. إنما الله تعالى وفقًا للغة التقنية العربية

ومع أنهم لا يعتقدون بألوهية المسيح إلا أنهم يقدسونه كنبي، ويكرمون أمه البتول مريم، ويحترمون يوم الحساب، حيث يكافئ فيه الله كل البشر المنبعثين من الموت، كما إنهم يحترمون الحياة الأخلاقية، ويعبدون الله خاصة بالصلاة والصدقة والصوم.

لقد اعترف قداسة البابا بولس السادس الذي كان بجهده المتميز، وبفضله الكبير على الطائفة الكاثوليكية في انفتاح الفاتيكان على شريعة الإسلام، لم يسبقه أي من البابوات الذين تعاقبوا على رئاسة الكنيسة الكاثوليكية منذ قيامها في مدينة روما العاصمة الإيطالية.

والبابا بولس السادس الذي كان يحمل اللقب البابوي يوحنا الثالث والعشرين في ترتيب البابوات، لذلك كان من أجرئهم قوة وصلابة ودعمًا في اعتراف المسيحية بعقيدة الإسلام السماوية، وبلوغ هدفه الكبير في إجراء حوار بين الديانتين في عهد جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية في عام ١٣٩٢ - ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٢ - ١٩٧٤م.

الله والحرية

وكانت دبلوماسية البابا بولس السادس تقوم على حوار منفتح على جميع الأديان والحكومات، واستفتاء الرأي العام أمام المنابر العالمية الكبرى، وبخاصة منبر الأمم المتحدة في نيويورك في دورة عام ١٩٧٤م، وفي البحث الدؤوب عن جميع حقوق الإنسان بدءًا بالحرية الدينية محك سائر الحريات، مؤكدًا: ليس لسياسة الفاتيكان من هدف سوى «الله والحرية»، كما عبر من على منصة الأمم المتحدة.

لذلك كان هذا النص اللائق والصريح الذي أعلنه المجمع الفاتيكاني الثاني بحق شريعة الإسلام إذا ما قورن هذا الموقف الاحترامي للإسلام والمسلمين، فإن ذلك يمكن تقدير أهمية الوثيقة المسيحية التي كشفت عن النوايا المخلصة، والآفاق لمستقبل العلاقات التي كان يسير من أجلها قداسة البابا بولس عند مقارنتها بالعلاقات غير الودية التي كانت بين الإسلام والمسيحية في القرون الماضية بعد بعثة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

إن وثيقة الفاتيكان أكدت الأهمية التي يتسم بها النص القرآني، بالنسبة إلى الإيمان الإسلامي، فهو يتمحور حول الكتاب السماوي - القرآن العظيم - الذي هو كلمة الله الأحد.

فهذه الوثيقة مجهولة في العالمين العربي والإسلامي، باعتبار أن الأجهزة الإعلامية العربية لم تتناولها في ذاك التاريخ الذي مضى عليه ما يقارب ثلاثة عقود ونصفًا من الزمن، والسبب في ذلك أن العالم العربي كان غارقًا في تيارات ماركسية هدامة لشخصية الإنسان العربي، وسلب كرامته كإنسان خلقه الله، ليعمل مع الآخرين، وفي ظل تناقضات حادة، كان يطلقها النظام الاشتراكي الملحد في دولة الاتحاد السوفييتي تدعو إلى إنكار الأديان كلها، وإنكار وجود الله سبحانه وتعالى.

ووثيقة الفاتيكان تتألف من ١٣٥ صفحة من الحجم المتوسط، وقد عرضت الكثير من الآيات القرآنية مع تفسير لمعانيها، وشرح لتلك الآيات، كما أكدت أن النبي

(وثيقة نور العالم)كانت تفيض بتنفيذ الرؤى التقليدية التي كانت للمسيحيين عن الإسلام. وتعرض ما هو حقيقة. وبشكل مفصل وواقعي. إذ تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن قدرية الإسلام. الذي يتمسك بالتشريع الإلهي الصحيح

محمدًا رسول الإسلام ليس مؤلف القرآن، إنما الله تعالى وفقًا للغة التقنية العربية.

حوار حضاري

وأمام هذه الأهمية في صدور الوثيقة الكاثوليكية عن حضارة التاريخ الإسلامي، كان لا بد من إصدار مؤلف - كتاب - عن الوثيقة مع ترجمتها للعربية؛ للإفادة من محتوياتها لدى شعوب العالم، وتأكيدًا لاعتراف الكاثوليكية العالمية بقدرة الدين الإسلامي وأهميته في هذا العالم. والحديث عن الحوار الحضاري الثقافي الذي جرى بين الفاتيكان والمملكة العربية السعودية حيث صدر (المؤلف) مع مطلع عام ٢٠٠٥م الحالي. وإنني أحتفظ بنص الوثيقة منذ ذاك التاريخ، من خلال مهمتي الصحفية، وبخاصة في أمر له مساس بعقيدتي الإسلامية، التي أعتز بها. وقد توجهت في ذاك التاريخ إلى روما، وحصلت على الوثيقة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأحتفظ بهما في مكتبي.

وبسبب ما انهال على الأمة العربية والإسلامية من كثير من المؤامرات الغربية الشرسة؛ بهدف الطعن بشريعة الإسلام من قبل منظمات إرهابية في هذه الظروف المتردية التي يعيشها العالم، والمرافقة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١م فقد أخذت أقلام بعض الكتّاب والمثقفين في العالم العربي تطالب بقيام حوارات حضارية بين الإسلام والمسيحية؛ لفتح أبواب التسامح بين الديانتين؛ بهدف إبعاد وقوع أي صدام بين الديانات.

وأمام تلك المطالب وجدت نفسي ملزمًا بكشف ما لدي من معلومات قيمة عن تاريخ حوار الحضارات في القرن الماضي؛ لأنها قد تساعد على إنارة الطريق أمام كل حوار حضاري جديد في هذا العالم، وبخاصة عن أهمية وثيقة



الصلاة اعتراف بربوبية الله

الفاتيكان، التي أشادت بشريعة الإسلام، وبأهمية الدين الإسلامي على المسرح العالمي، معتمدًا الوثائق والمعلومات الصادرة عن موقف المجمع المسكوني الثاني في الفاتيكان، وهدفه الأسمى من هذا الحواراللقاء بين أكبر ديانتين في العالم، وما جرى من حوارات ومناقشات عن هذا التقارب الديني، وأسباب جوهرية لانقطاع كل حوار بأهداف معروفة، وأسباب مجهولة في هذا العالم.



من التصور السليم للملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ عن أحوال المسلمين. موافقته على الحوار مع المسيحية العالمية لتحقيق الأمن والسلام في الكرة الأرضية لما فيه خير البشرية

الدلائل الموثقة التي تجمعت لدى الكنيسة الكاثوليكية من عدد من الكتب الإسلامية التي تتحدث عن المواقف الصحيحة لشريعة الإسلام، هي التي وثقها كتاب الله

ومن التصور السليم للملك فيصل - طيب الله ثراه - عن أحوال المسلمين، موافقته - رحمه الله - على الحوار مع المسيحية العالمية لتحقيق الأمن والسلام في الكرة الأرضية لما فيه خير البشرية، من خلال قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. الحجرات:١٣.

إن هذه الآية الكريمة تتصدر القاعة الرسمية لوزارة الخارجية السعودية منذ أن تولى الملك فيصل مهمات هذه الوزارة ومسؤولياتها، وما زالت حتى هذا التاريخ في عهد نجله الأمير سعود الفيصل عميد الدبلوماسية السعودية.

وقال رب العزة والجلال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾. البقرة:٢٠٨.

لذلك إن الأديان السماوية الثلاثة، إنما تعترف، وتؤكد أن إلهنا والرب واحد في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد.. الله الصمد.. لم يلد.. ولم يولد.. ولم يكن له كفوًا أحد﴾ الإخلاص.

كما أعلن المجمع المسكوني الثاني في جلساته بين عامي ٦٢ و٦٥ (أن الرب إلهنا هو الرب الواحد)، وهذا سر الخلاص الكوني.

تعاون لخدمة الإنسانية

ومن هذا المنطلق تنادى أصحاب الديانتين المسيحية والإسلام للدعوة إلى التعاون والتقارب لخدمة الإنسانية، وحماية المعتقدات الدينية المنزلة من السماء. وتم وضع الخطط الكفيلة بالتعاون بين كنيسة الفاتيكان والمملكة العربية السعودية لتصحيح مسار العالم، وفتح سياسة الحوار المشترك للإصغاء إلى صوت الحق.

وأشارت وثيقة الفاتيكان إلى قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ آل عمران:٨٤. ﴿ويا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم. إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾. النساء:١٧١.

كما أكدت الوثيقة أن قدرية الإسلام «دين مكتوب»

مسلمون يؤدون الصلاة



القضاء الشرعي في الإسلام، الإسلام دين إلّهي، تسامحية الإسلام، الأسرار المسيحية بالنسبة إلى الفكر الإسلامي، عقيدة الثالوث الأقدس، وحدانية الله الخالق، الوحدانية المسيحية بالنسبة إلى الوحدانية الإسلامية تلتقيان معًا.

فالإيمان بالله وبوحدانيته هو تام لا شريك له، ويكون الله قريبًا جدًا من المؤمن من خلال رحمته.

لذلك ثبت للكرادلة أن الإسلام متسامح مع الديانات الأخرى، وأن شعائره ركن أساسي في إصلاح النفوس والقلوب على كل المستويات الإنسانية، وبخاصة على أساس الأخلاق من خلال تعامل الإنسان مع الإنسان الآخر.

واستطاع البابا بولس السادس كسر باب الجليد، وهو الحاجز الذي قام بين الديانتين منذ نزول رسالة الإسلام، وأرسل يوم ٢٤ نيسان/ أبريل عام ١٩٧٤م رئيس غرفة الفاتيكان لغير المسيحيين الكاردينال سيرجو بينيادولي إلى جدة، حاملاً رسالة خاصة للملك فيصل، عبّر فيها عن تقديره الشخصي، وجميع الكرادلة في الفاتيكان، والموافقة الجماعية على ضرورة الحوار مع أمة الإسلام، وعن قيمة الملك فيصل في هذا العالم، بصفته صاحب النفوذ الأسمى في العالم العربي والإسلامي مشحونًا بإيمان عميق بتوحيد العالمين الإسلامي والمسيحي لكونهما يعبدان إلهًا واحدًا.

وقد تجاوب الملك فيصل مع قداسة بابا الفاتيكان بعد تحليل علمي لوثيقة المسيحيين عن شريعة الإسلام، وفتحت أبواب الفاتيكان الكبيرة لعلماء المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ محمد الحركان - وزير العدل - في ذاك التاريخ، رحمه الله وتم الحوار الإسلامي المسيحي في كلمة البابا التي قال فيها: الوطن السعودي مهد الإسلام ومستودع الكثير من القيم الروحية.

لذلك إن كتاب حوار الحضارات بين المملكة العربية السعودية والفاتيكان ذو أهمية كبيرة في مجال الحوار الثقافي الحضاري بين الأديان، وفي تحقيق الأمن والسلام على كوكب الأرض.

وبكل وضوح، فإن كتاب الحوار الحضاري الذي أتحدث عنه يعدّ - إلى حد ما - مماثلاً لكل الخطوات الثابتة التي وضعها لنا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الأديان السماوية بحسبان أن العقيدة الإسلامية قد جاءت لخير البشرية كلها في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾. الأحزاب:٢١. وقال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس﴾. البقرة:٢١٣.

ومن هذه الآيات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى دين الإسلام؛ بهدف تحرير العقول من الخرافات، وتطهير القلوب من الشر، وتطويع النفوس للتواد والتراحم. ويبشر بوحدانية الله تعالى، ويحذر من الشرك وعبادة الأصنام.

أول حوار حضاري

وكانت دعوة رسول الله (الإسلام) في يثرب حكمة إلهية، لإيجاد الطمأنينة في النفوس، وتوحيد المسلمين في هذه المدينة لإقامة أول دولة إسلامية، ووضع نظامها السياسي بالاتفاق مع اليهود لكونهم أهل الكتاب

الأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنعزل عن العالم الآخر الذي يقيم على كوكب الأرض. لأن العقيدة الإسلامية قد أكدت أن وحدة بني الإنسان في الخلق والأصل ثابتة. كما أنها راسخة في العقل المسلم

موحدين، وأقام عهد التحالف معهم؛ لذلك كانت تلك المعاهدة من الوثائق السياسية الجديرة بالإعجاب على مر التاريخ؛ لأنها قررت حرية الاعتقاد للأديان السماوية، كما كان العهد أول حوار حضاري بين الديانتين.

ثم جاء صلح الحديبية حكمة سياسية، كان لها أكبر الأثر في مستقبل الإسلام، وفي مستقبل العرب كله، فقد اعترفت قبائل قريش بالرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذه الخطوات التي قام بها رسول الله عليه الصلاة والسلام اتخذ قراره الحاسم لتثبيت قواعد الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، وبعث إلى ملوك الآفاق من النصارى والمجوس برسائل للدخول في الإسلام، وكانت تلك الرسائل بمنزلة حوار عملي بين الإسلام وأهل الكتاب.

وتحدث المؤلف عن تاريخ الإسلام العظيم، والدور الحضاري لعقيدته السماوية، وشرح أعظم المعجزات المتصفة بالربانية، وهي تتسم بالشمول والاستمرار في هذه الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لأن الرسالة السماوية هي الشريعة المصدقة التابعة لجميع رسالات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

فالأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تنعزل عن العالم الآخر الذي يقيم على كوكب الأرض، لأن العقيدة الإسلامية قد أكدت أن وحدة بني الإنسان في الخلق والأصل ثابتة، كما أنها راسخة في العقل المسلم، مع إدانة كل أشكال التمييز العنصري والقومي واللوني بين البشر، لكونها قاعدة أساسية من قواعد الشريعة الإسلامية.

فالقيادة السعودية في كل العقود والأزمات ملزمة بالحفاظ على هذا المنهج الثابت لشريعة الإسلام، والدفاع عنه بكل قواها، لكونه يحمل سمات الأخلاق الكريمة، والتسلح بالمعرفة واليقظة، والحرص على كل ما فيه إسعاد المجتمع السعودي، مع تحقيق المصلحة المشتركة للمجتمع الإنساني.

لذلك فالمهمات الأساسية التي تقوم بها قيادة المملكة العربية السعودية، إنما تتصل بالدعوة إلى الله، تعالى وترشيدها في المجتمعات الإسلامية المنتشرة في العالم الغربي لترشيد الشباب المسلم، الذين يعيشون في ذاك العالم، لمواجهة المشكلات التي يواجهونها في حياتهم وحاضرهم، لأن هناك لبسًا وغموضًا، وإشكالات لدى كثير منهم في كثير من القضايا في أمور عقيدتهم الإسلامية.

وبعد استشهاد الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في آذار عام ١٩٧٥م تابعت القيادة السعودية النهج في الحوار الحضاري لمتابعة كل خطوات الملك فيصل في مجال الحوار مع الأديان، وإمكانية مواصلة الحوار الثقافي مع المؤمنين بالله، لنشر مبادئ السلام، وتحقيق الأمن والاستقرار، وتوفير الرخاء لشعوب العالم.

قوة ذاتية

وأكد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ رحمه الله ـ في جميع مجالسه: «أننا كدولة عربية إسلامية يجب أن نستمد قوتنا من ذاتنا، لأن الموقف الموحد والمتماسك هو الذي يحدد موقف الدول الكبرى من قضايانا»، والملك فهد كان يحتكم دومًا في معالجة المشكلات العربية والإسلامية إلى العقل الرزين، والتفكير السليم لكسب صداقات العالم من خلال نظرته بأن الإسلام يأبى لأهله

يقول خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز: "الإسلام -ولله الحمد- هو عقيدة سمحة متسامحة مع نفسها وأبنائها والأديان الباقية: لأننا جميعًا نعبد ربًا واحدًا"

ولغيرهم من الشعوب إلا الحق والعدل، والسلام الذي هو مفتوح الأبواب والنوافذ على جميع الأديان.

ويقول خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز: «الإسلام - ولله الحمد - هو عقيدة سمحة متسامحة مع نفسها وأبنائها والأديان الباقية؛ لأننا جميعًا نعبد ربًا واحدًا».

فالعقيدة الإسلامية لا تفرق بين دين وآخر ولا بين جنس وآخر، ولا بين لون وآخر وهذه هي عدالة السماء.

وكان اختياري لبعض الشخصيات السعودية المرموقة التي تتحمل المسؤولية في هذه الدولة، وقد عاشت تلك المرحلة من تاريخ الحوار الحضاري بين الإسلام والمسيحية في القرن الماضي للحديث عن أهمية الحوار بين الأديان وفي مضمون هذا المؤلف الموثق.

لذلك أسجل في الصفحات الأولى من هذا المؤلف تلك الرسائل الكريمة التي تلقيتها من بعض أصحاب السمو الملكي الأمراء، وأصحاب المعالي والعلماء عن أهمية هذا المؤلف الموثق، الذي لم يسبق أن صدر مثيل له في تاريخ الأديان السماوية، وما يملكه من تراث حي، يبقى على مر الزمان، له أثره في حياة المسلمين؛ لأنه تراث من علوم الدين والدنيا، وعلوم العقل والنقل، والعقيدة والشريعة، وإحياء علوم الدين، من خلال المنهج الإسلامي، الذي يكفل تحقيق مصلحة

ثبت للكرادلة أن الإسلام متسامح مع الديانات الأخرى، وأن شعائره ركن أساسي في إصلاح النفوس والقلوب على كل المستويات الإنسانية، وبخاصة على أساس الأخلاق من خلال تعامل الإنسان مع الإنسان الآخر



البابا ودعوة إلى الحوار

المسلمين، أينما كانوا دينيًا، وثقافيًا، واجتماعيًا.

وكان في مقدمة تلك الشخصيات التي تفضلت للحديث عن هذا المؤلف صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية - الذي أشاد بالمؤلف في إدلاله على تسامح الإسلام وتعايشه مع الأديان الأخرى، وإقامة السلام.

وصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل - وزير الخارجية، وعميد الدبلوماسية السعودية - الذي كلف الدكتور نزار عبيد مدني - مساعد وزير الخارجية - للحديث عن هذا المؤلف، فقال في رسالته: يطيب لي باسم سمو وزير الخارجية أن أشكركم على مشاعركم الطيبة، وجهدكم الجيد في إنجاز هذا العمل المتميز.

وقال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز - رئيس مجلس إدارة المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق - في رسالته: إن

تنادي أصحاب الديانتين المسيحية والإسلام للدعوة إلى التعاون لخدمة الإنسانية، وحماية المعتقدات الدينية، وتم وضع الخطط الكفيلة بالتعاون بين كنيسة الفاتيكان والمملكة العربية السعودية لتصحيح مسار العالم

مؤلفكم قيم ومتميز في فكرته ومضمونه.

وقال معالي الأستاذ علي بن حسن الشاعر - المستشار في الديوان الملكي: إن مؤلفكم هو موضوع الساعة على الساحتين الغربية والدولية خلال هذه الفترة العصيبة، التي تمر بها الأمتان العربية والإسلامية.

وقال معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: إن البحث في حوار الحضارات مطلب ملح لتحقيق السلام، وهو موضوع مهم في هذا العصر الذي تقاربت فيه المسافات، فالحوار هو الوسيلة الطبيعية للتفاهم بين بني الإنسان، فإن الإسلام قد اهتم به منذ البداية. وكتابكم هذا يكون إسهامًا إيجابيا في إيجاد وسائل وأساليب تعمق الحوار بين الحضارات وتدحض الدعوة التي ينادي بها بعضهم إلى صدام الحضارات، والتي لا تجني منها البشرية سوى الحروب والدمار والشقاء. وهذا الموضوع هو من أهم الموضوعات التي توليها الرابطة اهتمامًا متميزًا في الظروف الراهنة.

الفاتيكان



روزا باركس: الخياطة التي غيرت الحياة في أمريكا

حسين حسن حسين

قسم التحرير

روزا باركس هي سيدة أمريكية إفريقية، ناشطة في الدفاع عن الحقوق المدنية، أصبحت ملء السمع والبصر؛ بسبب كفاحها ونضالها من أجل أن تسود قيم العدل والمساواة في الولايات المتحدة الأمريكية، ونبذ كل مظاهر التمييز العنصري التي كانت سائدة، وهذه التي نالت وصف أم حركة الدفاع عن الحقوق المدنية لها حكاية تستحق أن تروى.

ولدت روزا في مناطق الفصل العنصري في الجنوب الأمريكي في ٤ فبراير/شباط عام ١٩١٣م في بلدة توسكيج بولاية ألباما لأب نجار، وأم تعمل مدرسة. وعندما انفصل والداها ترعرعت في ألباما مع والدتها وشقيقها الأصغر، وجدتها لأمها في مزرعة خارج حدود مونتغمري في ولاية ألباما.

نضال منذ الصغر

وقد ذهبت باركس إلى مدارس الفصل العنصري في ألباما بعد أن تلقت التعليم في منزلها، حتى بلغت سن الحادية عشرة ولكنها اضطرت إلى ترك المدرسة لإعالة جدتها المريضة ووالدتها، وفي عام ١٩٣٢م تزوجت روزا من رايموند باركس، وهو حلاق، كان عضواً في الاتحاد الوطني لتعزيز حقوق السكان الملونين، وهي المنظمة الرئيسة، التي كانت تدافع عن حقوق الزنوج.

وقد عملت روزا باركس أيضا مساعدة في مستشفى، وقد أنهت دراستها الثانوية عام ١٩٣٣م في الوقت الذي كان فيه أقل من ٧ ٪ من الأمريكيين من



أصل إفريقي حاصلين على شهادة ثانوية.

حاولت باركس مرارًا التسجيل للتصويت، ونجحت في المرة الثالثة بعد التغلب على قواعد التمييز العنصري في الانتخابات التي كانت مطبقة في ألباما.

وفي عام ١٩٤٣م أصبحت روزا عضواً ناشطًا في منظمة الاتحاد الوطني للدفاع عن حقوق السود، وانتخبت سكرتيرة متطوعة، ثم رئيسة للمنظمة. كما عملت باركس في مجال الخياطة أيضا مع زوجين بيض متحررين، شجعاها على المشاركة في مركز تعليمي لحقوق العمال والمساواة العرقية في تينيسي في صيف عام ١٩٥٥م.

يوم لا ينسى

روزا باركس الخياطة ذات الثالثة والأربعين من العمر، كانت عائدة من معمل للثياب بوسط مدينة مونتغومري حيث تعمل، وقد تأبطت عددًا من الأكياس الممتلئة بهدايا عيد الميلاد، بعد أن انتهت من يوم عمل مضن، صعدت روزا إلى حافلة النقل العام، وكان عليها أن تتوجه إلى

القسم الخلفي من الحافلة المخصص للسود، أو النيغرو حسب المصطلح العنصري المتداول في تلك الأيام، لسوء حظها لم تجد مقعدًا خاليًا يضم جسدها المنهك من عناء عمل متصل، فتقدمت قليلاً، إلى الوسط تقريباً، وجلست هناك في مقعد خالٍ، فالتقطت أنفاسها، وقد مرت عدة محطات، استقبلت خلالها الحافلة ركابًا آخرين، ومن بينهم عدد من الركاب البيض.

ولكن فجأة علا صوت السائق فجأة، قائلاً بعبارة آمرة وحازمة: "النيغيرز إلى الخلف، وكرر نداءه طالبًا من السود إخلاء المقاعد المخصصة للبيض، والعودة إلى القسم الخلفي، ولكن روزا بحكم انتمائها إلى «الرابطة الوطنية من أجل تحسين أحوال الملونين» (إن إي إي سي بي) كانت قد قررت أن تتحدى أي نوع من التمييز العنصري، لذا رفضت بإصرار شديد أن تنصاع للأوامر، رافضة إخلاء مقعدها في الحافلة العامة لراكب أبيض، لمجرد أنه أبيض، وهي سوداء.

رمز للحرية

كان هذا الإصرار كافيًا لتوقيف روزا باركس بتهمة «انتهاك قوانين المواصلات» في مدينة مونتغمري، بولاية ألاباما، جنوب الولايات المتحدة الأمريكية.

كان خبر القبض عليها قد انتشر في المدينة، وتقرر إحضارها إلى المحكمة في أول يوم اثنين، وكان يوما العطلة (السبت والأحد) كافيين ليجتمع السود في المدينة، ويقرروا بروح فيها الكثير من العزم والتحدي الدفاع عن روزا التي غدت رمزًا من رموز الحرية.

وكان هذا التحرك الجماعي قد تقرر أن يقوده شاب في السابعة والعشرين من عمره، هو راعي

لوحة فنية تصور حادث الحافلة



كان خبر القبض على روزا قد انتشر في المدينة، وتقرر إحضارها إلى المحكمة في أول يوم اثنين، وكان يوما العطلة (السبت والأحد) كافيين ليجتمع السود في المدينة، ويقرروا بروح فيها الكثير من العزم والتحدي الدفاع عن روزا التي غدت رمزًا من رموز الحرية

إبرشية كنيسة ديكستير إفنيو المعمدانية، التي تنتمي باركس إلى رعيتها. ولم يكن هذا الشاب سوى مارتن لوثر كينغ جونيور الذي غدا بعد ذلك من رموز الولايات المتحدة الأمريكية في ميدان الدعوة إلى محاربة الفصل العنصري، وتأكيد مبدأ المواطنة من دون أي تمييز لأي سبب من الأسباب.

وكان مارتن حفيداً للرجل الذي نظم تحركاً مدنياً شهيراً أدى إلى افتتاح أول مدرسة عليا للسود في مدينة أتلانتا، أطلق عليها اسم داعية الحقوق المدنية والمساواة بوكر تي واشنطن التي تخرج فيها مارتن.

دفاعًا عن روزا، نظم كينغ جونيور حملة مقاطعة لحافلات النقل المشترك في مونتغومري في ٥ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٥٥م، وقد حققت حملة المقاطعة نجاحاً كبيراً على مدى عام كامل، وأثار ذلك حفيظة البيض الذين ظلوا يفكرون في طريقة للرد على هذه الحملة.

أفرج عن روزا بغرامة مالية قدرها ١٤ دولاراً، ولكنها رفضت دفعها، فأعيد اعتقالها مرة أخرى. وفي الوقت نفسه، ألقي القبض على مارتن لوثر كينغ جونيور بتهمة قيادة السيارة في حالة السكر، وبتهمة تنظيم حملة مقاطعة غير مشروعة.

وفي حملة مضادة، قامت شركات التأمين في مونتغومري، التي يسيطر عليها البيض، بإلغاء تأميناتها على السيارات التي يستعملها السود بديلة للنقل المشترك. وعندما لم يجد هذا الرد، بدأت عمليات مهاجمة مساكن السود، ومن ذلك هجوم بالرصاص على منزل مارتن لوثر كينغ جونيور في مونتغومري، ونظمت منظمة «كوكلوكس كلان» (ك.ك.ك.) العنصرية مسيرة في شوارع المدينة.

بلغت قضية روزا باركس طريقها إلى المحكمة الأمريكية العليا في واشنطن، التي أصدرت في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٥٦م قرارها بإنهاء مظاهر الفصل العنصري في حافلات مونتغومري العامة، ليعود السود إلى استخدام هذه الحافلات ابتداء من الحادي والعشرين من ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٥٦م، بعد إضراب دام ٣٨١ يومًا.

عقب إعلان وفاتها، قال السيناتور الديمقراطي إدوارد كنيدي في بيان له: خسرت الأمة امرأة شجاعة، وبطلة أمريكية حقيقية. قبل نصف قرن نهضت روزا باركس مدافعة ليس فقط عن نفسها، بل عن أجيال وراء أجيال من الأمريكيين

مشوار طويل

مثل هذا الحكم انتصاراً للسود، وأصبح نموذج باركس/ مونتجمري جديرًا بالاقتداء. وكان هذا التحرك بداية لطريق طويل من أجل انتزاع الحقوق بلغ ذروته في ستينيات القرن الماضي، حيث أقر قانون الحقوق المدنية في عام ١٩٦٤م، واستمر النضال طوال السبعينيات والثمانينيات حتى تكلل بالنجاح في نهاية المطاف.

كان هذا الموقف كافيًا لتفقد روزا باركس عملها كخياطة في أحد المعامل بمدينة مونتغومري، لكنها أصبحت رمزًا من رموز حركة حقوق الإنسان، ولكن المحامي الشاب جون كونييرز، الذي فاز بعضوية الكونجرس بفضل دعمها، قام بتعيينها مساعدة له، ومديرة لمكتبه، وعن ذلك يقول: «لم أفعل ذلك بدافع الشفقة عليها.. كانت عضوًا فاعلاً في حركة الحقوق المدنية، وكانت تضفي على المكان طابع الشهرة.. كان الناس يأتون إلى مكتبي لرؤيتها، ويغادرون دومًا متأثرين بتواضعها، ولباقتها».

وبقيت في هذا المنصب حتى تقاعدها عام ١٩٨٨م، وتم تأسيس معهد روزا وريموند باركس للارتقاء بالحقوق المدنية عام ١٩٨٧م، وفي عام ١٩٩٢م كتبت روزا باركس سيرة حياتها الموجهة للشباب والصغار.

وقد كانت روزا باركس في عام ١٩٩٠م من ضمن المجموعة التي استقبلت المناضل الإفريقي نيلسون مانديلا بعد إطلاق سراحه من سجنه في جزيرة روبين.

معاناة وكوابيس

وفي حديث ذكريات صرحت روزا قائلة: «السبب الحقيقي وراء عدم وقوفي في الحافلة، وترك مقعدي، هو أنني شعرت أن لدي الحق أن أعامل كأي راكب على متن الحافلة، فقد عانينا من تلك المعاملة غير العادلة سنوات طويلة».

وفي دراسة أعدها الكاتبان ويليامز، وغرينهو حديث لامرأة بيضاء كان عمرها ١٣ عامًا حين قتل جندي أسود في حافلة لمخالفته قانون الفصل العنصري، إذ تقول: «إن الناس نسوا الأولاد البيض، الذين ترعرعوا في ذلك المجتمع. نسوا أننا عانينا أيضًا. راودتني كوابيس طوال سنوات، وأحيانًا لا أستطيع إبعاد ذلك عن تفكيري».

تكريم

ونالت روزا في عام ١٩٩٦م الوسام الرئاسي للحرية، والوسام الذهبي للكونجرس في عام ١٩٩٩م، وهو أعلى وسام مدني في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصفها مجلس الشيوخ الأمريكي بأنها «رمز حي للحرية في أمريكا».

واختارت مجلة تايم السيدة روزا باركس بوصفها واحدة من بين أكثر من ٢٠ شخصية مؤثرة في القرن العشرين، وقد تم افتتاح مكتبة متحف روزا باركس في مونتغمري بولاية ألباما في نوفمبر /تشرين الثاني عام ٢٠٠١م قرب المحطة التي استقلتها منها الحافلة.

مع مانديلا وزوجته السابقة ديني



وتعدّى تكريم روزا حدود بلادها، إذ كرمتها دول كثيرة بوصفها أمًا لحركة المطالبة بالحقوق المدنية، ولكنها ظلت تقول بتواضع: «لم أكن سوى واحدة بين كثيرات وكثيرين ناضلوا من أجل الحرية».

وعندما هاجمها شاب مدمن على الكوكايين في





منزلها في عام ١٩٩٤م من أجل الحصول على مال، قالت: «إنني أتأسف للظروف التي تدفع في بلادي مثل هذا الشاب إلى فعل كهذا، ولكن، على الرغم من العنف والجريمة في المجتمع، يجب علينا ألا نخاف، وأن نكون أقوياء».

بعد هذا الحادث قام سكان ديترويت بنقلها إلى مبنى عال يطل على نهر ديترويت.



توفيت روزا في يوم الإثنين ٢٤ أكتوبر/ تشرين الأول الماضي بعد حياة حافلة عن عمر ناهز الثانية والتسعين، في منزلها بديترويت، ولاية ميشيغن، والمدينة تستعد للاحتفال بذكرى مرور نصف قرن على وقفتها الشجاعة في حافلة النقل المشترك، التي كانت شرارة لانطلاق حركة حقوق الإنسان، التي صار مارتن لوثر كينغ جونيور من رموزها، وقد نال جائزة نوبل للسلام لإنجازاته في مجال الحقوق المدنية، واستحقت روزا الخياطة أن يطلق عليها (المرأة التي غيرت مجرى الحياة الأمريكية).



وعقب إعلان وفاتها، قال السيناتور الديمقراطي إدوارد كنيدي في بيان له: «خسرت الأمة امرأة شجاعة، وبطلة أمريكية حقيقية. قبل نصف قرن نهضت روزا باركس مدافعة ليس فقط عن نفسها، بل عن أجيال وراء أجيال من الأمريكيين».

وتقديرًا لما قامت به من دور وافق الكونغرس الأمريكي أن تدفن روزا في القاعة المخصصة لدفن الرؤساء الأمريكيين والجنود والسياسيين في مبنى الكونغرس.





وهذه القاعة استخدمت حتى اليوم ٢٨ مرة منذ عام ١٨٥٢م وكان الرئيس الأمريكي الذي توفي في عام ٢٠٠٤م هو السابق مباشرة لروزا.

وتعد روزا المرأة الأولى التي لا تحتل منصبًا رسميًا في الحكومة الأمريكية، والتي تنال هذا التشريف، كما أنها الشخص الثاني من أصول إفريقية الذي يتمتع به



روزا مع جيسي جاكسون



الحافلة التي شهدت الحادث الذي غير وجه أمريكا

بعد مقتل أحد الحراس العاملين في الكونغرس داخل المبنى في عام ١٩٨٨م.

ووقع الرئيس الأمريكي جورج بوش قانونا لإقامة تمثال لها في مبنى الكابيتول مقر الكونغرس الأمريكي في واشنطن. وقال بوش خلال حفل توقيع القانون في البيت الأبيض: «هذه البطلة الأمريكية ستكرم بإقامة تمثال لها داخل الرمز الأبرز للديموقراطية الأمريكية.. نأمل أن تتذكر الأجيال الأمريكية ما قامت به هذه المرأة الشجاعة وأن تستوحي منها».

وجرى حفل التوقيع بحضور مقترحي مشروع القانون السيناتور الديموقراطي جون كيري المرشح السابق للانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٤م، وجيسي جاكسون النائب الديموقراطي عن إيلينوي، ونجل القس الأمريكي الأسود جيسي جاكسون.

تراث العبودية

كلمة أسود كانت مرادفة لكلمة عبودية في الولايات المتحدة، التي ظلت تجلب أعدادًا كبيرة من الأفارقة للعمل بالسخرة في الأراضي الشاسعة، وظل استيراد العبيد - حسب المفهوم الأمريكي - من إفريقية إلى عام ١٨٠٦م.

ومن مظاهر التمييز على المستوى السياسي أن صوت الأمريكي الأسود الحر كان يبلغ ثلاثة أخماس صوت المواطن الأبيض، ولم تتخلص الولايات المتحدة من تراث العبودية إلا عبر حرب أهلية ضروس، وبعد نضال مرير اتخذ أشكالاً متعددة.

توفيت روزا في يوم الإثنين ٢٤ أكتوبر الماضي بعد حياة حافلة عن عمر ناهز الثانية والتسعين. في منزلها بديترويت. والمدينة تستعد للاحتفال بذكرى مرور نصف قرن على وقفتها الشجاعة في حافلة النقل المشترك. التي كانت شرارة لانطلاق حركة حقوق الإنسان

وعلى الرغم من محاولات التغلب على العنصرية، إلا أن مظاهرها لا تزال تتجسد في المجتمع الأمريكي، وهذا ما دعا روزا إلى القول: «أحاول التحلي بالأمل، لكن ذلك ليس دائمًا بالأمر السهل».

وقد أشارت صحيفة ديترويت نيوز بعد وفاتها إلى أن منطقتها تعد اليوم الأكثر عنصرية في البلاد. ولا تزال التفرقة العنصرية جزءًا لا يتجزأ من الواقع الأمريكي.

ولهذا يصعب القول: إن الأمريكيين السود قد نالوا كل حقوقهم، فالفوارق لا تزال قائمة. وتشير إحصاءات عام ٢٠٠٠م إلى أن عدد السود يصل إلى نحو ٣٥ مليون نسمة، أي إن نسبتهم ١٣,٤٪ من عدد السكان.

ومع أن التمييز العنصري الصارخ كالمنع من ارتياد أماكن البيض، أو الفصل في الحافلات والأماكن العامة لم يعد قائمًا، إلا أن هناك مظاهر للتمييز يستدل عليها بالأرقام والإحصاءات، ومن ذلك أن نحو ٢٥٪ من السود يعيشون تحت خط الفقر، بينما تصل هذه النسبة على المستوى القومي الأمريكي إلى نحو١٣٪، ويقصد بالفقر أمريكيًا حصول عائلة مكونة من أربعة أفراد على أقل من ١٨,٤٠٠ دولار أمريكي سنويًا.

وقع الرئيس الأمريكي جورج بوش قانونا لإقامة تمثال لها في مبنى الكابيتول مقر الكونغرس الأمريكي في واشنطن. وقال بوش خلال حفل توقيع القانون في البيت الأبيض: "هذه البطلة الأمريكية ستكرم بإقامة تمثال لها داخل الرمز الأبرز للديموقراطية الأمريكية

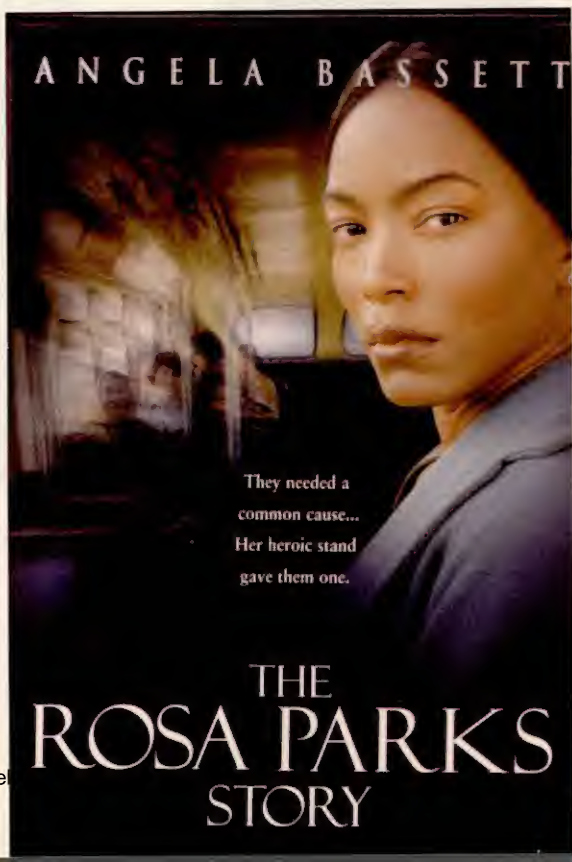
وهناك من يرى أن التلاميذ السود أكثر عرضة للعقاب الصارم مقارنة بزملائهم البيض، كما أن أكثر التلاميذ السود يلتحقون بمدارس متدنية في تجهيزاتها.

كما أن السود يتعرضون أكثر من غيرهم لرقابة الشرطة في الأماكن العامة، ويتعرضون أكثر لأحكام قاسية، وتعد أحياؤهم أكثر تلوثًا، والأقل في التزام شروط البيئة الصحية.

ومن الإحصاءات الدالة على استمرار التمييز أن هناك عضوًا واحدًا أسود بمجلس الشيوخ من بين ١٠٠ عضو، أي أن نسبتهم ١٪ من الأعضاء، ويبلغ عدد أعضاء مجلس النواب من السود ٤٢ عضوًا من إجمالي ٤٣٥ عضوًا، أي بنسبة ٩,٦٪ من الأعضاء.

وإذا كانت روزا قد عملت مديرة مكتب لعضو ديمقراطي في مجلس الشيوخ، فإن السود لا يزالون أكثر تعاطفًا مع الحزب الديمقراطي، وهو يحصد ما يقرب من ٩٠٪ من أصواتهم.

أحد الكتب الصادرة عنها





الفيصل العلمية
مجلة فصلية تهتم بنشر الثقافة العلمية
التكنولوجيا الحيوية الواقع الراهن والمخاطر المحتملة
الترقق العظمي الوقاية والعلاج
متلازمة التمثيل الغذائي

صدر حديثا

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥١) رمضان ١٤٢٦هـ / أكتوبر ٢٠٠٥م

الفائز الأول: يحيى أحمد القعود - صنعاء - اليمن.
الفائز الثاني: منى عادل حمدي - العريش - مصر.
الفائز الثالث: وسام عاطف المعايعة - مسقط - سلطنة عمان.
الفائز الرابع: مروة طلال علي سليمان - إربد - الأردن.
الفائز الخامس: آلاء سيف الدين حسين - الحسكة - سورية.
الفائز السادس: رنا عبدالله علي اللهيبي - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز السابع: عبدالسلام كامل عبدالسلام - أم درمان - السودان.
الفائز الثامن: بلقاسم بن المولدي بن بلقاسم - أم العرائس - تونس.

حل مسابقة العدد (٣٥١)

١- بيغماليون هو مثال أسطوري في جزيرة قبرص، عشق تمثالاً عاجيًا سواه بيديه.
٢- كلمة مايسترو كلمة إيطالية، وتعني الأستاذ، وتطلق على قائد الأوركسترا.
٣- محمد فؤاد عبدالباقي هو واضع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٤)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) ما البراهمانية أو البراهمية؟
(٢) من هم الأموريون؟
(٣) ما معنى نيرفانه؟

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية
- انعقاد ندوة "الديمقراطية والشورى" بمركز الملك فيصل
- "نحن والآخر" في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري
- مراسلات بيكاسو ودالي في كتاب

●● خاتمة المطاف: التجليد ومكانة المجلد في المجتمع المغربي والأندلسي



مركز الملك فيصل ومركز دراسة الإسلام والديمقراطية ينظمان ندوة الشورى والديمقراطية والحكم الرشيد

برعاية معالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد - رئيس مجلس الشورى - نظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالتعاون مع مركز دراسة الإسلام والديمقراطية في واشنطن، ندوة بعنوان (الشورى والديمقراطية والحكم الرشيد) في الفترة من ١٧-١٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٦هـ (١٩-٢٠ ديسمبر/ كانون الأول عام ٢٠٠٥م)، وقد اشتملت على عدد من أوراق العمل التي تناولت الجوانب المختلفة للموضوع. وبدأت الندوة بكلمة للأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الدكتور يحيى محمود بن جنيد قال فيها: هي في ظني ندوة فريدة في نوعها؛ لأنها تعالج موضوعًا حيويًا ثلاثي التمدد: أوله الشورى، ووسطه الديمقراطية، وخاتمته الحكم الرشيد، والمحوران الأولان ينتهيان في الأخير؛ لأن مدار الحكم سواء أكان شوريًا أم ديمقراطيًا، هو تحقيق العدالة، وتوفير متطلبات العيش الكريم، وحقوق الإنسان؛ بما يؤدي إلى إشاعة الرفاهية والأمن والسلام. أما الدكتور رضوان المصمودي - رئيس مركز دراسة الإسلام والديمقراطية - فقال: إن أمتنا العربية والإسلامية تمر بظروف صعبة، وأزمة خانقة وخطيرة، ووازن بين حالها وحال الغرب، فخلص إلى أن سبب قوة الغرب وتقدمه هو قدرته على بناء أنظمة سياسية تجعل الدولة في خدمة المواطن، وتوفر مناخًا عامًا من الحرية والعدالة يسمح للمواطن أن يحقق أحلامه، ويساهم بكل إمكاناته وطاقاته من أجل بناء نظام متكامل ومتطور. وأوضح الدكتور صالح الحميد في كلمته أن الرشد في عمومه يعني التنظيم، وحسن استعمال الموارد والوقت والقوى، وحسن استثمار الطاقات والعلاقات، بل حتى الكلمات والعبارات، فلا يكون الأمر مفيدًا ولا ناجحًا إلا إذا كان منظمًا ومنتظمًا، وهو يعني الاستخدام الأمثل لكل طاقات المجتمع البشرية والمادية على حد سواء. وذكر بعض مبادئ الحكم الرشيد، ومنها المشاركة في صناعة القرارات السياسية، والشفافية في التعامل، ومنع الفساد، واستقلالية القضاء، والحريات المنضبطة والمسؤولة، مؤكدًا أن الدولة المسلمة محكومة بالعقيدة، وتعاليم الإسلام، وأحكام الشرع المطهر. وجاءت ورقة الدكتور نصر محمد عارف - أستاذ العلوم السياسية، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة زايد في الإمارات العربية المتحدة - بعنوان «في الأسس المعرفية للنظم السياسية الإسلامية»، أوضح في مقدمتها انشغال العقل المسلم، على مدى قرنين من الزمان، وتحت تأثير صدمة حضارية مزلزلة، بمحاولات تقديم إجابات إسلامية عن أسئلة وإشكاليات لم تكن في يوم من الأيام نابعة من تفاعلات الإنسان والزمان والمكان في حوض الحضارة الإسلامية، وأضاف: وهنا جاء الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر - منذ المواجهة الأخيرة مع الغرب، التي بدأت بالحملة الفرنسية- فكراً انفعالياً، وليس متفاعلاً، مفعولاً به وفيه، وليس فاعلاً . وهو يرى أنه في ظل هذه الوضعية المتوترة القلقة تحددت الأسس المعرفية للفكر الإسلامي الحديث في ما يتعلق بالسياسة، بل وبكل العلوم المتعلقة بتنظيم المجتمع، وترتيب شؤونه العامة وإدارته. وفي ختام ورقته خلص د. عارف إلى إمكان إعادة صياغة النظم السياسية الإسلامية من خلال عملية متواصلة من التعاطي مع التراث والتاريخ المتعلق بالذات، والحاضر المختلط الذي تعيشه الأمة، وكذلك التجارب المعاصرة التي طورتها النماذج السياسية النابعة من حضارات أخرى مغايرة.

وقدم الدكتور سعد الدين العثماني - النائب في البرلمان المغربي، ونائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، وعضو الأمانة العامة لحركة التوحيد والإصلاح - ورقة بعنوان «تصرفات الرسول بالإمامة أو طبيعة الممارسة السياسية في الإسلام»، وأوضح تنوع التصرفات النبوية، بينما ينظر كثيرًا إليها على أنها من نوع واحد وعلى وزن واحد، وعلى أنها كلها وحي يتبع. وقد بين كثير من العلماء والأصوليين خطأ هذه النظرة، ومجافاتها لطبيعة التصرفات النبوية، وهو يقسم تلك التصرفات النبوية إلى نوعين: تصرفات تشريعية، وهي التي يطلق عليها اصطلاحا لفظ السنة، وتصرفات غير تشريعية لا تدخل في مسمى السنة. وأشار إلى أن هذا التقسيم للتصرفات النبوية له فوائد كثيرة في فقه الدين، وفي التعامل مع الأحاديث النبوية، وأوضح أنه إذا كانت الديمقراطية هي أن يحكم الشعب نفسه بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فإنه من الخطأ البين تصور أي تعارض بينها وبين الإسلام. وأكد الدكتور محمد بريش

الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد والدكتور رضوان المصمودي



غياب الشورى في عالمنا الإسلامي، وأشار إلى أننا لن نستطيع أن نضع فقهًا سياسيًا، ونحن أمة مهزومة، وقال: إن ملكة التخيل تضعف مع البعد عن القرآن الكريم، وأن اهتمامًا بالمستقبل كمؤسسة وخبرة غير موجود في عالمنا العربي، وطالب بضرورة التعمق في المستقبليات. ومن الأوراق التي قدمت في هذه الندوة تلك الورقة التي حاولت الإجابة عن سؤال: ما موقع الجامع في العالَم المعاصر؟، وقد قدمها الدكتور أحميدة محمد مأمون النيفر الذي أشار إلى أن مؤسسة الجامع اليوم يمكن أن تثير مخاوف حقيقية لما تحمله في خطابها، وفي نظرتها إلى نفسها، وإلى الآخرين من صعوبة في التطوّر، مما يتيح لبعض الناس أن يرى في الجامع مؤسسة رجعية في فكرها، وإقصائية بطابعها، ولا تستطيع أن تقبل سوى نوعين من العلاقة، إما أن تكون آمرة قاهرة، وإما أن تكون تابعة خاضعة. وأوضح أن تأسس الخطاب الديني على أن الإيمان هو اختيار واع ومعاصر، وليس تراثا نصوغ به إلزامًا فرديًا أو جماعيا، يجعل الخطاب المسجدي يندرج إيجابيًا في علاقات عامة قائمة على قيم المساواة والعدل، وقيمة احترام الآخر، والتواصل معه بقصد اكتشاف ما يحمله من ثراء وعمق. وتناولت الدكتورة أسماء أفسر الدين موضوع «الشورى والديمقراطية والصالح العام»، وناقشت مفاهيم الشورى والبيعة والإجماع، وأوردت الآراء المختلفة، وخلصت إلى أنه إذا قدر للديمقراطية والمدنية أن تنتشرا، وتلقيا القبول بوسائل تعليمية وغير تعليمية، فالأرجح أنهما يمكن أن تجددا المجتمعات المسلمة التقليدية اليوم، وتقرباها من إيجاد أنماط حكم تتسم بالديمقراطية والمساءلة والنهوض بالصالح العام الذي يقوم على بعض المبادئ السياسية والخلقية الإسلامية. وقال الدكتور محمد الحبش في ورقته: إن الديمقراطية في مضمونها العالمي ليست منجزاً

إقليمياً، ولا يحق احتكارها فلسفة ولا منشأ ولا تطبيقاً لأي شكل من أشكال النظام السياسي في العالم، وعلينا إدراك أن الديمقراطية وحقوق الإنسان منجز إنساني عالمي، دفع الإنسان خلال التاريخ ثمنه بدمه وكفاحه، واشترك في إنجازه وبنائه، ومن حق سائر الأمم أن تنعم بما تم إنجازه في هذا السبيل على أساس أنه تراث عالمي متاح لكل شعوب الأرض، وانتهى إلى أن الديمقراطية خيار إنساني نبيل، لا يتعارض في شيء مع الأصول الإسلامية الكبرى، التي جاءت وفق تعبير القرآن الكريم: رحمة للعالمين. وتحدث الدكتور نجيب الغضبان عن التحولات المدنية وإشكالية الشرعية موضحًا الحالة التي يمكن أن ينتج منها نوع من الاختلاف والتعارض بين الإصلاحي والشرعي، مشيرًا إلى أن الدول والكيانات التي اعترفت بأحقية الأصوات المتعددة في طرح رؤاها هي الأقرب لقبول الإصلاح السياسي.

وتناول الدكتور أبوبكر أحمد باقادر (دور مؤسسات المجتمع المدني في الإصلاح)، فأشار إلى أن الخوف من المصطلحات والتسميات غالبًا ما يكون عاملاً سلبيًا يسهم في تأخير التأهيل الاجتماعي باتجاه المشاركة في الإصلاح. وقدم أمثلة لمؤسسات حديثة تعمل في سياق مفهوم المجتمع المدني مثل الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان والحوار الوطني، وغيرها من المؤسسات العاملة في مجال النفع العام. واختتمت فعاليات الندوة بجلسة عنوانها التجربة السعودية في الحكم والإصلاح السياسي، تحدث فيها الدكتور صالح المالك الأمين العام لمجلس الشورى مقسمًا ورقته إلى ثلاثة محاور، الأول الإصلاح السياسي في المملكة: الثوابت والآليات، والثاني: الشورى في المملكة وهي أربع مراحل: التأسيس والبناء والتنمية السريعة والتكامل. وقدم المهندس جعفر محمد الشايب العضو المنتخب في المجلس البلدي بالقطيف قراءة في تجربة الانتخابات البلدية في المملكة العربية السعودية، وبدأ ذلك بنبذة تاريخية، ثم أهداف الانتخابات البلدية المتمثلة في الحاجة الماسة إلى إعادة صياغة شرعية الأجهزة التنفيذية بإشراك المواطنين في الرقابة، وتطرق إلى الظروف والمؤثرات سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو الدولي، ثم آليات المجالس البلدية، وسير العملية الانتخابية وتقويمها. وقدم الدكتور عبدالكريم الدخيل أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود دراسة في التحديث البنيوي والتحولات الإصلاحية السياسية ومستقبل الإصلاح في المملكة، وتحدث حول عملية البناء بالمملكة والفترات التي مرت بها، والتي كان أهمها المرحلة الثالثة التي تضمنت الإصلاحات والانتخابات البلدية وحقوق الإنسان وتوسيع حرية الرأي، والإعلام ونشر ثقافة التسامح والحوار. أدار الندوات الدكتور عبدالله العثيمين، والدكتور علي أبو زعكوك، عبدالعزيز القاسم، والدكتور حزام الغميسي.

حضور كبير شهدته جلسات الندوة



"نحن والآخر" في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري

نظم مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني فعاليات اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري الذي جاء تحت عنوان: «نحن والآخر.. رؤية وطنية مشتركة للتعامل مع الثقافات العالمية»، وذلك على مدى ثلاثة أيام في الفترة من ١١ - ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤٢٦هـ (١٣ - ١٦ ديسمبرعام ٢٠٠٥م) في فندق قصر أبها وفق البرنامج.

وشارك في هذا اللقاء أكثر من ٧٠ مشاركاً ومشاركة من مختلف الأوساط العلمية والثقافية والإعلامية؛ بغية تحديد رؤية موحدة أو متقاربة للتعامل مع الآخر.. ..فكان المحور الأول بعنوان «المنطلقات الإسلامية في التعامل مع الآخر»، وتمت في هذا المحور مناقشة القضايا التي تنبني عليها العلاقة مع الآخر، في إطار الأصول والقواعد الشرعية المتعلّقة بالمواثيق، والوفاء بالعهود، والولاء، والبراء، والجهاد، والعدل، والمساواة، والإحسان، واحترام الآخر، والمجادلة بالتي هي أحسن. وكان المحور الثاني بعنوان: «رؤية الآخر لنا وكيفية التعامل معها»، وسعى هذا المحور إلى توضيح رؤى الآخرين وتصوراتهم تجاهنا، وكيفية التعامل معها، وإيجابيات التعامل وسلبياته مع الآخر، من خلال تناول موضوعات تلامس الواقع، وحمل المحور الثالث عنوان «دور مؤسسات المجتمع في بناء العلاقة مع الآخر»، وتناول دور مؤسسات المجتمع في بناء العلاقة مع الآخر، في المجالات الدينية، والتربوية، والثقافية، والإعلامية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والسياحية المختلفة، واقتراح الأساليب والوسائل العلمية التي تسهم في التواصل الإيجابي مع الآخر، والمحور الرابع كان بعنوان «صياغة رؤية وطنية للتعامل مع الآخر»، وخصص هذا المحور لعرض نتائج اللقاء، وصياغة رؤية وطنية تتضمن مختلف جوانب العلاقة مع الآخر.

الائتلاف التونسي ضد الهيمنة الثقافية الأمريكية

أسس عدد كبير من المثقفين والمبدعين التونسيين رابطة باسم «الائتلاف التونسي للتنوع الثقافي» من ضمن أهدافها مناهضة الهيمنة الثقافية الأمريكية على العالم.

وعبر مؤسسو الرابطة عن رفضهم التام لإدراج السلطات التونسية «المنتجات الثقافية» في المفاوضات التجارية، خاصة مع الولايات المتحدة «الراغبة في الهيمنة الثقافية على العالم»، حتى لا يقع «ارتهان إرادة الدولة التونسية في تصور وصياغة وتطبيق سياسات ثقافية خاصة بها». ويهدف «الائتلاف» إلى «تأكيد الطابع الخصوصي للمنتجات والخدمات الثقافية، وإقرار أنها حاملة لهوية، ومعنى، وقيم، وليست سلعة تجارية»، بالإضافة إلى مساعدة الدولة في «اعتماد سياسات ثقافية وطنية، وتدابير ملائمة لحماية وتشجيع المنتوج الثقافي المحلي»، والعمل على نشره وطنيًا وعالميًا.

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام عن فوز كل من معالي الشيخ صالح عبدالرحمن الحصين - السعودي الجنسية، والشيخ يوسف جاسم الحجي الكويتي الجنسية بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وذلك في يوم السبت٢٢ ذي القعدة الماضي (٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م).

وأعلنت الأمانة العامة للجائزة في يوم الثلاثاء ٢٥ ذي القعدة أسماء الفائزين في الفروع المختلفة، وقال الأمين العام للجائزة الدكتور عبدالله العثيمين إن لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية قررت حجب الجائزة هذا العام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، وموضوعها الدراسات التي تناولت أصول الفقه أو جانباً منه تأليفاً أو تحليلاً؛ لعدم ارتقاء الأعمال المرشحة إلى مستوى الجائزة. ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية، وموضوعها اللغة العربية في الدراسات اللغوية الحديثة؛ مناصفة بين الأستاذ الدكتور تمام حسان عمر - المصري الجنسية، والأستاذ الدكتور عبد القادر فاسي فهري - المغربي الجنسية.

و فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب ، وموضوعها التهاب بطانة الأوعية الدموية الأستاذ الدكتور مايكل أنطوني جمبرون - الأمريكي الجنسية - أستاذ علم الأمراض ورئيس قسم الأمراض في كلية الطب، ومستشفى بريجنهام في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة.

وتناصف جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم، وموضوعها الرياضيات، كل من الأستاذ الدكتور سايمون كروان

افتتاح المركز الثقافي العربي الروسي بمركز فينيكس التعليمي في موسكو

افتتح بمركز (فينيكس) التعليمي الروسي بالعاصمة الروسية موسكو المركز الثقافي الروسي العربي بمشاركة الأكاديمية السعودية بموسكو، حيث حضر الافتتاح وفد من طلبة الأكاديمية بموسكو. وشاهد الجميع عرضًا عن معالم عدد من الدول العربية، وجمهوريات روسيا الاتحادية، كما اشتمل البرنامج على استعراض بعض العادات والتقاليد العربية، ومقارنة بعض أوجه التشابه في بعض العادات أو المعالم العربية والروسية.

وضم المركز كثيرًا من الصور الفوتوغرافية التي كانت تغطي جدرانه بمساحات شاسعة كصور المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف.

وعرض في الحفل مأكولات عربية وروسية ، وفي نهاية الاحتفال ألقى رئيس قسم النشاط الطلابي بالأكاديمية السعودية بموسكو كلمة أكد من خلالها أن الأكاديمية، ومن خلال توجيهات رئيس مجلس الإدارة سفير خادم الحرمين الشريفين في موسكو الأستاذ محمد حسن عبد الولي، ومدير عام الأكاديمية الأستاذ بجاد بن محمد العتيبي، تسعى إلى فتح قنوات جديدة للتواصل الثقافي مع المؤسسات والمراكز الثقافية والتعليمية الروسية.

دونالدسون - البريطاني الجنسية، رئيس معهد العلوم الرياضية في لندن، وأستاذ الرياضيات في كلية أمبريال بجامعة لندن - المملكة المتحدة، والأستاذ الدكتور مودومباى سيشاتشالو ناراسيمان - الهندي الجنسية، الزميل الفخري في معهد تاتا للبحوث الأساسية في الهند.

وعقد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية مؤتمرًا صحفيًا بهذه المناسبة قال فيه: "في هذا اللقاء الجميل بوجودكم أرفع أسمى آيات التقدير والاحترام لراعي نهضتنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ولسمو ولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز.. هذه القيادة التي ترعى كل الخطوات المباركة التي نراها في الوقت السعيد الذي تعيشه المملكة". ووجه سموه الشكر لكل من شارك في اختيار الفائزين، ولكل من حضروا هذا الحفل من جميع قارات العالم، وقال في ختام كلمته: "إن البشرية في أحوج الظروف للم شمل الإنسانية والبشرية.. والعاملين لخدمة الإنسانية.. كفانا حروبا.. كفانا شقاقا.. كفانا صدامات وصراعات.. فلنتجه إلى الاقتناع بأننا من نسل آدم وحواء.. وبأن الله أوكل إلينا إعمار هذا الكون وهو لن يأتي إلا بالمحبة والوئام والتضافر".

وقد أجاب الأمير خالد الفيصل عن أسئلة الصحفيين، وفي إجابة للأمير خالد حول ماذا ينقص جائزة الملك فيصل العالمية حتى تكون في مستوى جائزة نوبل، و إن الغرب جميعه يدعم جائزة نوبل وجائزة الملك فيصل لا يدعمها لا الشرق ولا العرب ولا المسلمون. وأعلن سموه أن ١٩ من المحرم القادم سيكون موعدًا لتتويج الفائزين في حال موافقة الديوان الملكي على هذا الموعد.

وأشار إلى أن افتتاح مثل هذا المركز لم يقتصر على كونه قناة تواصل بين الأكاديمية السعودية ومركز (فينيكس) فحسب، بل إنه قناة جديدة تسهم في دفع العلاقات الثقافية العربية الروسية، واستعرض من خلالها دور الأكاديمية في دفع العلاقات الثقافية السعودية الروسية، ومدى حرص المسؤولين على تفعيل مثل هذه العلاقات.

من جانبه أكد مدير المركز السيد يوري أن إقامة هذا المركز تهدف إلى التعريف بالثقافة العربية، والاطلاع على المزيد من العادات والتقاليد العربية والروسية، كما أنها تهدف إلى التبادل والتعاون الثقافيين العربي- الروسي، وهو ثمرة من ثمار ذلك التعاون بين الأكاديمية السعودية ومركز فينيكس.

تجدر الإشارة إلى أن الأكاديمية السعودية بموسكو لها صلات ثقافية مع كثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية والحكومية من خلال قنوات ثقافية، أسهمت في تعريف المجتمع الروسي بالثقافة العربية، كما أنها تشرف على فصول لتعليم اللغة العربية ضمن برنامج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في عدد من الجامعات والمدارس والمراكز الثقافية في مدينة موسكو، وسانت سبورج، وكيروف، وغيرها، إضافة إلى برنامجها المسائي الذي يحظى بدعم وتمويل شخصين من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

جائزة كفافيس لحجاب وأصلان والأسواني

فاز الشاعران المصري سيد حجاب، واليوناني ماركو مسكوس بجائزة كفافيس الدولية لعام ٢٠٠٥م في الشعر عن مجمل أعمالهما، وفاز بالجائزة في القصة والرواية المصري إبراهيم أصلان، واليونانية مارو دوكا عن مجمل أعمالهما، في حين حُجبت جائزة الترجمة في هذه الدورة.

جاء الإعلان عن نتائج الجائزة في حفل انعقد بالسفارة اليونانية بالقاهرة، وضمت اللجنة كلاً من د. عماد أبوغازي، ود. حمدي إبراهيم، ود. صلاح فضل، ود. نعيم عطية، والشاعر فاروق شوشة، ود. بنايوتس، ود. ديمتري دسكالوبولس، وآرسي سوتيروبولو، وأنديا فرانزي، ومحمد سالم سكرتيراً.

وفازت بجائزة كفافيس الخاصة مكتبة الإسكندرية، لدورها المهم في نشر الثقافة المتوسطية، وكذلك لكل من بنايوتي فلاسوبولس، وألكيستي سولويانيس، والفنان ناكي ألكسيو لكونهم مؤسسي الكفافيات، ونال جائزة كفافيس في النبوغ التي تمنح أول مرة الأديب الشاب علاء الأسواني، ومنحت شهادة تقدير خاصة باسم اللجنة إلى الدكتور محيي مطاوع، وإلى الشاعر والكاتب وسام جلال الدويك، لجهودهما في نشر الثقافة اليونانية الحديثة.

مما يجدر ذكره أن جائزة كفافيس الدولية تم إنشاؤها في عام ١٩٩١م، ومن الذين فازوا بها من قبل: محمود درويش، وسعدي يوسف، ومحمد الفيتوري، وإدوار الخراط، ود. ثروت عكاشة، ومحمد عفيفي مطر، وحسن طلب، ورفعت سلام، ومحمد سليمان، وأحمد الشهاوي، وجمال القصاص، وبهاء طاهر، وغيرهم.

والشاعر اليوناني قسطنطين كفافيس الذي تحمل الجائزة اسمه من أشهر شعراء اليونان، وقد عاش فترة طويلة من حياته في مدينة الإسكندرية.

سرقة تمثال برونزي من أعمال هنري مور ببريطانيا

سرق تمثال ضخم من البرونز من أعمال هنري مور تبلغ قيمته ثلاثة ملايين جنيه إسترليني، أي ما يعادل ٥,٣٠ ملايين دولار. وذكرت الشرطة أن التمثال الذي يبلغ طوله ٣,٥ أمتار «وهو لشخص متّكئ»، سرقه من مؤسسة هنري مور في هرتفوردشير بشمال لندن ثلاثة رجال، وأخذوه في سيارة.

وتخشى الشرطة من تدمير التمثال إلى أجزاء ليسهل نقله وبيعه، مشيرة إلى أن هناك احتمالات بأن تكون السرقة إما منظمة لمنفعة أشخاص في عالم الفن، أو نفعية من أجل قيمة البرونز. وأوضحت أنها تعمل بالتعاون مع مؤسسة هنري مور؛ لضمان أن يعود التمثال، مشيرة إلى أن المؤسسة عرضت مكافأة مالية سخية لمن يبلغها عن مكان التمثال. عرف النحات البريطاني مور الذي توفي عام ١٩٨٦ بأعماله التجريدية الكبيرة الحجم، وقد صنع التمثال في عامي ١٩٦٩م و١٩٧٠م، واقتنته المؤسسة عام ١٩٨٧م.

مراسلات بيكاسو ودالي في كتاب

أصدرت دار النشر الفرنسية «غاليمار» كتابًا يضم مراسلات اثنين من أشهر فناني القرن العشرين، هما بابلو بيكاسو، وسلفادور دالي.

وضم الكتاب مجموعة الرسائل المتبادلة، وبطاقات الأعياد بين بيكاسو ودالي في الفترة من عام ١٩٢٧م حتى عام ١٩٧٠م، وهي نحو ٢٥٤ رسالة تبادلا خلالها الآراء حول الأحداث السياسية، التي شهدتها إسبانيا، إلى جانب العلاقات العاطفية لكل منهما. ويضم الكتاب القصائد التي كتبها الفنان بيكاسو بالإسبانية والفرنسية، بعد تاريخه الفني الطويل في رسم اللوحات.

الرسام والنحات الإسباني بابلو بيكاسو من مواليد عام



١٨٨١م، وتوفي عام ١٩٧٣م وهو من أكثر فناني القرن الماضي إنتاجًا وإبداعًا.

وولد الرسام الإسباني سلفادور دالي في عام ١٩٠٤م، وتوفي عام ١٩٨٩م، وهو أوسع فناني المذهب السريالي في الفن صيتًا.

الفاتيكان يكشف قائمة الكتب التي حظرها في الماضي

من واقع سجلاته السرية كشف الفاتيكان قائمة الكتب المحظورة من قبل الكنيسة الكاثوليكية في القرن التاسع عشر، وهي تعد من أفضل كتب تلك الفترة.

هذه القائمة من الكتب تم إخفاؤها عام ١٩٦٧م، وهي تضم آلاف الكتب، التي عدتها الكنيسة في ذلك الوقت «غير أخلاقية» و«خاطئة» من وجهة النظر «اللاهوتية».

وكان مؤرخون غربيون قد اكتشفوا أن رواية القرن التاسع عشر Uncle Tom's Cabin للمؤلف هاريت بوتشر ستو تعرضت للتدقيق في روما، في قسم يسمى «المحفل المقدس للتصنيف». وكان أحد قراء الفاتيكان أعدّ في عام ١٨٥٣م هذه الرواية، التي تروي قصة العبودية في الولايات المتحدة ، ودعوة لاستئناف الثورة.

ومن الكتب الأخرى التي تعرضت للرقابة كتاب يتحدث عن العلاقات بين البشر للبارون الألماني أدولف نيغ ، وهو الكتاب الأول في القرن التاسع عشر حول «الإتيكيت» أو آداب التعامل. ورأى الفاتيكان آنذاك أن هذا الكتاب يشجع الأنانية، ويركز في السعادة الشخصية بطريقة تناقض «الروح الكاثوليكية». وقائمة الكتب التي صنفها الفاتيكان ضمن «الكتب السيئة» كثيرة، ومنها كتب جان بول سارتر، ومارتن لوثر، وعمانوئيل كانط. ويهتم الباحثون الألمان بسجلات الفاتيكان لمعرفة الموقف الدقيق له من كتاب الزعيم النازي أدولف هتلر، كتاب «كفاحي».



العكش، منير/ تلمود العم سام: الأساطير العبرية التي تأسست عليها أمريكا ـ بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٤م، ٣٢٤ص.

يقول المؤلف إن تحت مدينة واشنطن مقبرة جماعية كانت في يوم من الأيام مدينة «هندية حمراء» مسالمة تدعى «ناكسن شتنكه»، وكانت هذه المدينة مركزًا تجاريًا زاهرًا لشعب كونوي على ضفاف نهر بوتومك قبل أن يبني جورج واشنطن عاصمته على أنقاضها.

ويشير إلى أن مدينة واشنطن التي تربض اليوم فوق أشلاء شعب مباد هي التجسيد الحي «لفكرة أمريكا» المستمدة من «فكرة إسرائيل» التاريخية: فكرة اجتياح أرض الآخرين واقتلاعهم جسديًا وثقافيًا.

وتسمى هذه المنطقة اليوم بالولايات المتحدة، هناك أكثر من ٤٠٠ أمة وشعب يرقدون الآن، كما يرقد شعب كونوي مع عضويات الوحول والطمس والغضار تحت المدن والمزارع والحقول الآمنة التي كانت ذات يوم مدينتهم ومزارعهم وحقولهم وملاعب وجودهم.

يسلط هذا الكتاب الضوء على أربعة قرون من تطبيقات «فكرة أمريكا»، وهي ـ حسب المؤلف ـ استوعبت في نزعتها الإمبراطورية، ورأسماليتها المتوحشة، ومسبباتها النووية كل أساطير العبرانيين الأولين عن أنفسهم، وعن العالم.

كما استوعبت أطروحات وملاحم «نهاية التاريخ» القيامية، بدءًا من قيامة العراق وكل بلدان الشرق العربي القديم وحضاراته، وانتهاء بتوطين يهود العالم في فلسطين، وذلك من قبل أن يأتي هرتزل بأكثر من ثلاثة قرون.

هالبر ستيفان، وجوناثان كلارك/ التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة: عمر الأيوبي ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م، ٤٣١ص.

يستعرض هذا الكتاب كيف أن انتخاب جورج دبليو بوش، وحالة الخوف والاضطراب التي سادت بعد ١١ أيلول/سبتمبر، اجتمعا معا فأتاحا لمجموعة صغيرة من المفكرين الراديكاليين الإمساك بزمام سياسة الأمن القومي الأمريكية.

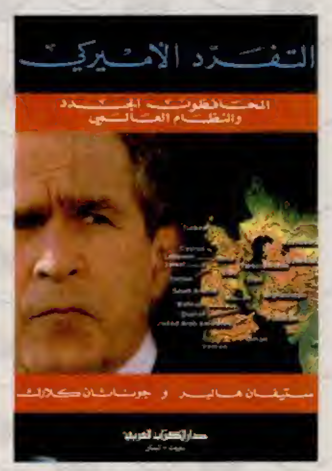
ويكشف الكتاب كيف تم إقناع رئيس، يفتقر إلى التجربة في هذا المنعطف المهم من التاريخ الأمريكي، بالتخلي عن تعهداته الانتخابية

والدبلوماسية الناجحة التي اتبعها الحزبان من احتواء التهديد السوفييتي في نصف القرن الماضي، وتبني السياسة الخارجية للمحافظين الجدد التي تشدد المواجهة و«بناء الأمم».

لقد تبين اليوم أن التكاليف التي دفعتها أمريكا من الدمار والأموال والمصداقية كبيرة، وأن المنافع التي حققتها قليلة.

يحمل الكتاب هذه التكاليف من ناحية الضرر الاقتصادي وتشويه الأولويات وتصاعد الموجة المعادية لأمريكا، وتراجع الأمن. ويقدم الكتاب مقارنة بديلة تشدد على المبادئ المحافظة التقليدية القائمة على احتواء المخاطر، ودبلوماسية الإجماع، وتوازن القوى.

ويدحض الباحثين في هذا الكتاب الكثير من المعلومات المضللة، التي يبثها المحافظون الجدد عن أصول أجندتهم في السياسة الخارجية الأمريكية.



بدران، عباس/ الحكومة الإلكترونية: من الإستراتيجية إلى التطبيق.- عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ٢٣٨ص.

يسلط هذا الكتاب الضوء على موضوع الحكومة الإلكترونية، وشرح مختلف جوانبها وأساليبها وتقنياتها، ويقدم مفهومًا جديدًا لعلاقة المواطن والقطاع الخاص بالحكومة، إذ يتحول المواطن من متلق للخدمة العامة إلى محرك وأساس لها وأحد العناصر الفاعلة في عملية الحكم، وتتطور علاقة الدولة مع المؤسسات التجارية من دور الشرطي والرقابي إلى دور التسهيل والتيسير، بينما تقوم تلك المؤسسات بدورها برفد القطاع العام بعدد لا يستهان به من الإجراءات العملية التي أثبتت فعاليتها ونجاحها من خلال تجارب السوق.

ويطرح الكتاب من خلال فصوله الأربعة إطارًا مرجعيًا لمساعدة مديري العمل العام على تطوير مشروعات الحكومات الإلكترونية طبقًا لما توصلت إليه تجارب عدد من الدول في هذا المجال.

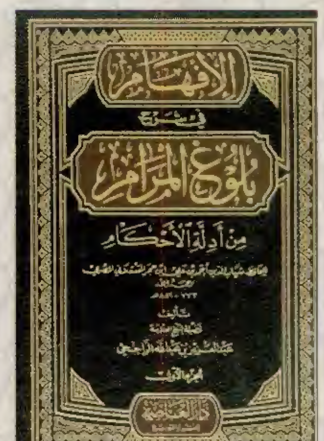
ويهدف إلى لفت أنظار رجال الدولة، وقيادات المجتمع الاقتصادي إلى ما يحدث من تغيرات ستقع الحكومات تحت تأثيرها المباشر إن عاجلاً أو آجلاً، وهو يقدم الحكومة الإلكترونية على أساس أنها فرصة للنظر في أساليب الحكم التقليدي، وأحد أهم مسوغات التغيير الإيجابي، وأدوات التطور والتنمية.





تسو، صن/ فن الحزب، ترجمة: كامل يوسف حسين. أبو ظبي إصدارات المجمع الثقافي، ٢٠٠٥م، ٤٩٩ص.

وضعت سلسلة من القادة العسكريين الذين تربطهم صلة القرابة، قبل نحو ٢٣٠٠ عام، فيما يعرف الآن بشمالي الصين، حكمتهم الجماعية في صيغة مكتوبة للمرة الأولى. وقدر لنصهم أن يشكل الفكر الإستراتيجي لشرق آسيا بكامله، إذ قدم منظورًا جديدًا إلى حد بعيد في ما يتعلق بالصراع، يمكن للمرء بمقتضاه إحراز النصر من دون المضي إلى المعركة، وعلى الرغم من أن نصهم يطلق عليه في الغرب «فن الحرب» فإنه في الصين لا يزال يعرف بـ «الصن تسو» وهو اسم مؤسس سلسلتهم، وأصبح هذا النص على امتداد نصف القرن الأخير دليلاً للناس الذين يسعون على امتداد العالم إلى تغيير المنهاج الذي يتعاملون به مع الصراع، سواء في الحرب أو نشاط الأعمال أو في الحياة اليومية، عندما يركز قائد سرية في هدفه، ويتعرض مجلس إدارة للحصار، وعندما يشارك جيراننا في معركة على تقسيم الأراضي لحماية أراضي الحديقة المحلية، فإننا نجد المحاربين العصريين يستعينون بـ «الصن تسو»، ومن الجلي أنهم مقتنعون بأن حكمته العتيقة لها قيمة كبيرة اليوم.



الراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله/ الإفهام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري، جزءان. الرياض: دار العاصمة، ٢٠٠٥م، ٩٦٤ص.

يعد كتاب بلوغ المرام في أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني المصري (٨٥٢هـ) من أهم الكتب الحديثية للأحكام الشرعية، ولأهمية الكتاب شرحه عدد من أئمة العلم كالمغربي والصنعاني وغيرهما، ومن أهم الشروح المتأخرة شرح الشيخ ابن باز - رحمه الله.

وتميز هذا الشرح بأنه استمرار لمدرسة ابن باز الجامعة بين الفقه والحديث، وتضمن آراء واختيارات الشيخ ابن باز، ويظهر اجتهادات المؤلف في فقه الأحكام، وجمع الكتاب بين الاختصار والكفاية، وهو جامع لمذاهب أهل العلم في القديم والحديث، ويشتمل الكتاب على أنواع الدلالات الفقهية من المعتمد عند أهل العلم.

وجاء منهج المؤلف في شرحه لجميع أحاديث الكتاب. إما إفرادًا أو تضمينًا، وذكر المسائل التي تضمنتها الأحاديث التي أوردها الحافظ، وتفريع الشيخ في المسائل، وذكره للتعاريف اللغوية والاصطلاحية للكتب والأبواب والمسائل، وذكره مذاهب أهل العلم في مسائل الباب، وبخاصة الأئمة الأربعة وأصحابهم، ومذاهب الفقهاء الكبار من الصحابة، ويحصر أقوالهم اتفاقًا أو اختلافًا، وذكر كل قول ودليله، وكذلك اعتراضات العلماء في المسائل، كما حرص المؤلف على ذكر آراء المحققين من أهل العلم واجتهاداتهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وذكر آراء الشيخ ابن باز، وأخيرًا رأيه واجتهاده في المسائل معتمدًا في ذلك على الدليل.

ملص، محمد بسام/ في أدب الأطفال: رؤية الحاضر .. بصيرة المستقبل ـ قطر: كتاب الأمة، ١٤٢٦هـ، ١٤٧ص.

يعدّ هذا الكتاب ـ إلى حد بعيد ـ رؤية نقدية، ودعوة للمراجعة والتقويم الفحصي والاختبار؛ لما يملأ الساحة من أدب الأطفال على المستوى العربي، والإسلامي، وخاصة في مجال القصص والسير والأعلام، وأدب الطفل بشكل عام، سواء من حيث الشكل أو المضمون، ومحاولة لإلقاء أضواء كاشفة على مستقبل أدب الأطفال، والتدليل على أهميته في بناء مستقبل الأمة، ودعوة إلى حسن صناعته وفق منهجية واضحة، وأدوات ملائمة تمكن الاغتراف من معرفة الوحي، وتحقق استرداد الفاعلية، وتقديم أدب أطفال متميز، ينطلق من مرجعية الأمة، ويغرس قيمها في النفس، ويحقق استقامة السلوك، إذ يتحول التفكير إلى فعل، والإيمان إلى حركة، وتسترد الأمة الرحمة الغائبة التي من أجلها جاءت الرسالة الإسلامية وتشبعها على مستوى الذات والآخر، ذلك أن الاستمرار في حالة العجز عن التغيير والارتقاء في ما نقدم، يعني أن هناك خللاً ما أو عطبًا ما في وسائلنا لا بد من كشفه ودراسة سببه، وهذا يتطلب علماء وكتابًا ومفكرين متخصصين يمتلكون أدوات النقد الصحيح، كما يمتلكون القدرة والبصيرة على الخوض في أدق المسائل النفسية والتربوية وأخطرها، والإفادة من تجارب الآخر ليخلصوا منها إلى وسائل سليمة، تتحول إلى ثقافة اجتماعية في الأمة، حتى نتمكن من بلوغ المستقبل المأمول.



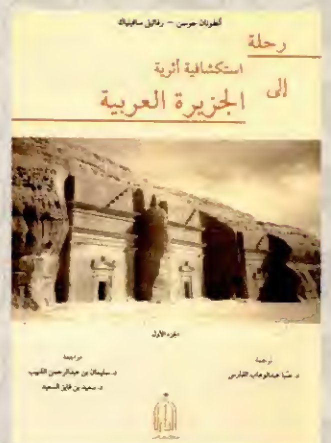


التفكير في مجتمع المعلومات/ أعمال الملتقى الدولي المعقود في تونس ٧ ـ ٨ أبريل ٢٠٠٥م ـ تونس: معهد الصحافة وعلوم الأخبار، ومؤسسة كونراد أديناور، ٢٠٠٥م، ٩٦ص.

يشتمل هذا الكتاب على أعمال الملتقى الدولي الذي عقد في تونس في الفترة ٧ ـ ٨ أبريل/ نيسان ٢٠٠٥م، وقد بدأت أعمال هذا المؤتمر بمحاضرة الافتتاح للأستاذ عبدالوهاب الوزير المستشار لرئيس جمهورية تونس، وجاءت مشاركة الصادق الحمامي بعنوان «التفكير التواصلي في مجتمع المعلومات»، وقدّم ماجي الحلواني بحثًا بعنوان «نحو بناء اتجاهات بحثية عربية إعلامية جديدة إزاء التقنيات المعاصرة»، وتناول الصادق الرابح موضوع مجتمع المعلومات في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم.

واستعرض المنصف العياري، ومحمد الأمين عواسة مفهوم مجتمع المعلومات: النشأة والتطور والتحديات، وتضمن الكتاب بحثًا لرضوان جمعة عن التقنية والمعرفة في المجتمعات المعاصرة: الاتصال في مواجهة الفجوات المعرفية؟

وكان الجزء الثاني من الكتاب ترجمة باللغة الفرنسية لموضوعات الملتقى الدولي.



جوسن، أنطوان ورفائيل سافينياك/ رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية، ترجمة: هبا عبدالوهاب الفارس، مراجعة: سليمان بن عبدالرحمن الذييب، وسعيد بن فايز السعيد ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ/٥٦٤ص.

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه أول عمل علمي مختص بالجزيرة العربية في بداية القرن العشرين، إذ يورد فيه وصفًا لآثار اختفت إما بسبب الحركة العمرانية وإما بسبب العوامل الطبيعية.

وقام العالمان أنطوان جوسن، ورفائيل سافينياك بمسح شامل ودقيق للآثار التي صادفتهما في طريقهما من القدس إلى مدائن صالح، وكانا أول مستكشفين يسعيان إلى ستعمال الكاميرا الفوتوغرافية.

يتضمن الكتاب أربعة أقسام: بيان الرحلة، والنقوش، والآثار، والدراسة الاجتماعية، والقسم المخصص للطريق يحتوي على رواية الرحلة من



القدس إلى الحجر يرافقها عدة ملحوظات حول المواقع والآثار.

وتضم النقوش بشكل أساسي كتابات نبطية، وعدة نصوص معينية وعربية، ونقوش لحيانية أو ثمودية، أما الجزء المتعلق بالآثار فهو يتناول مدائن صالح الجنائزية والدينية، أما الملاحظات الاجتماعية فتركز في مادبا، ومعان، وتبوك، والقتال بين بني صخر والبلقاء، ويصف هذا النص المتعلق بساحة الحرب، ويعطي طابعًا واقعيًا في الوقت نفسه عن عدة نواح من عادات العرب.

الجنحاني، الحبيب/ المجتمع العربي الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ٢٠٠٥م، ٣٩٨ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣١٩ص) .

يقول المؤلف: إن الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط لا تزال قليلة، فقد اهتم بعض المؤرخين العرب والمعاصرين بهذه الجوانب من التاريخ العربي الإسلامي، وبقي هذا الاتجاه ضعيفًا بل نادرًا، وما زلنا نعتمد أساسًا في ميدان الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية للتاريخ الإسلامي على أعمال بعض المستشرقين والمؤرخين الأجانب.

يتناول القسم الأول من هذه الدراسة مرحلة صدر الإسلام والعصر الراشدي بصفة أدق، ويتناول القسم الثاني المدينة العربية الإسلامية، ولم يول عناية تذكر بهندستها وفنونها المعمارية، وإنما جرى التركيز في حياة الناس فيها؛ أي: في القضايا الاجتماعية والاقتصادية.

واشتمل القسم الثالث على دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مثل: سياسة الخلافة الأموية تجاه المغرب في المجال المالي، وحركات الخوارج في المغرب، ومنطقة الخليج في صدر الإسلام من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

وتناول المؤلف السياسة المالية للدولة الفاطمية، ونظام ملكية الأراضي في المغرب العربي الإسلامي، والإقطاع بين المفهوم والممارسة، كما تضمن هذا القسم دراسات عن ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب العربي الإسلامي، وعن الخلفية الاقتصادية للصراع الفاطمي الأموي في بلاد المغرب.

التجليد ومكانة المجلد في المجتمع المغربي والأندلسي

السعيد بنموسى

الرباط – المغرب

التسفير حرفة قديمة جدًا ظهرت قبل ظهور الإسلام، وكانت ولا تزال معروفة في الغرب الإسلامي أي في المغرب والأندلس وإفريقية الشمالية بمصطلح التسفير، ولفظ التسفير معناه التجليد، والتسفير هو سفر جلدي يجعل على الكتاب للحفاظ عليه، وكانت للمجلد ولا تزال مسؤولية كبيرة على حفظ أوراق الكتاب من التلف، بحيث يقوم بخياطة كراريسه، وتقصيصه، وتركيب دفه، ونسخ برشماته، ثم العناية بمظهره الخارجي أو كسوته بالجلد وزخرفته وتذهيبه بأختام وطوابع حديدية أو نحاسية، وفي الواقع لو لم تكن العناية قديمًا بتجليد الكتب مباشرة بعد نسخها لضاع وفقد معظمها. وكما يقول ابن خلدون في كتابه المقدمة عن الوراقة أي النساخة والتجليد: «هي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان.

وفي الحقيقة لم تكن للمغرب معرفة بفن التجليد إلا بعد أن قامت دولة المرابطين وصار إقليم الأندلس خاضعًا لسلطاتهم، فقد تعلم المغاربة أساليبه باستعانة الصناع الذين نزلوا من الأندلس، لأن المسلمين في الأندلس كانوا قد أصابوا في هذا الميدان تقدمًا كبيرًا، وأول مجلد أندلسي استوطن المغرب هو عبدالرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري، فقد ذكر ابن القاضي في «جدوة الاقتباس» أن صانعاً مرابطياً أندلسياً بلنسي المولد ميربي النشأة كان يجلد الكتب ويزخرف دفاتها الجلدية بخطوط وأشكال مذهبة في أيام يوسف ابن تاشفين، وكان له حانوت بجوار جامع القرويين، وهذا الصانع هو عبدالرحمن بن الصقر، توفي بمراكش سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م

وذكر أيضًا في «جدوة الاقتباس» اسم أحد المجلدين الموحدين هو أبو عمر بكر بن إبراهيم بن المجاهد الإشبيلي نزيل فاس ومراكش، وقد ألف هذا كتابه «التيسير في صناعة التسفير» وأخرجه من حالة العدم إلى الوجود؛ ليظهر للخليفة المنصور الموحدي علمه بعد أن أظهر له عمله، كما قال في مقدمة كتابه.

ولا شك أن التجليد في المغرب كان في أول الأمر أندلسيًا، وبعد ذلك أخذ المغاربة يتقدمون ويتفننون في إبداعه، ثم ظهر مجلدون ومرممون ومزخرفون على الطريقة المغربية بين مغاربة وأندلسيين استوطنوا المغرب.

مكانة المجلد في المجتمع المغربي والأندلسي

كان المجلد يتمتع بمكانة ممتازة في المجتمع المغربي والأندلسي بسبب العمل الذي كان يقوم به، حتى إنه كان ينعت بالإمام، مثل المجلد ابن عبدون الذي كان من مشاهير مجلدي الأندلس، قال عنه تلميذه الشيخ الإشبيلي السابق الذكر: كان في هذه الصنعة إمام مبرز قد سار ذكره في المشرق والمغرب. وفي العصر الوطاسي نجد كذلك أن المجلد سيدي مالك كان ينعت بإمام المجلدين وهذه المرتبة - طبعًا - كانت لا تعطى إلا لآحاد الأفراد من جهابذة علماء الإسلام.

يقول الشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي في مقدمة كتابه «التيسير في صناعة التفسير» عن هذه الصناعة: «إن الله تعالى بوأها أعلى الرتب، وخصها بأن تكون حجابًا لكتابه المنتخب، ومع شرفها فلا يحملها إلا حامل لكتابه الكريم».

وهذا مما لا شك فيه هو السر الذي جعل أفرادًا من العلماء والوزراء المغاربة والأندلسيين يجلدون الكتب، ويزخرفونها، ويرممونها، واشتهر منهم الكثيرون، ومن أشهر هؤلاء العلماء والوزراء المجلدين والمزخرفين والمرممين:

- التهامي بن علي البطاوري الرباطي، حسب محمد دينيه في كتابه «مجالس الانبساط» عالم له معرفة بتسفير الكتب.
- أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي، نزيل غرناطة حسب ابن الجزي في «غاية النهاية» كان

يجلد الكتب في غاية الحسن.

- أبو عبدالله محمد بن سليمان الروداني السوسي، العلامة الجامع الفيلسوف الفلكي البارع، وقد جاء في ترجمته «الرحلة العباسية» أنه كان يحسن عدة حرف وصنائع، كالتسفير والطرز العجيب، والخرازة والصناعة، وحبر قوارير الزجاج المكسر، وعمل الأسطرلاب وغيرها.

- إدريس بن التهامي المكناسي كان حسب ابن زيدان في «إتحاف أعلام الناس» يحترف تسفير الكتب وإصلاح المبتور منها.

- المكي الدكالي أمبيركو الرباطي، كان مسفرًا محسنًا في عمله، وفي إصلاح ما تلاشى من الكتب.

- الفقيه الأديب ذو الصنع العجيب، الحلو عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن محمد المريني الوطاسي، كان حسب التاشفيني «اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون» عالمًا بتسفير الكتب وتنزيل الذهب.

- عبدالله بن محمد بن إدريس بن عبدالله العمراوي، حسب الكنسوس، كان وزيرًا، وكان يسفر بيده نسخًا من الشفا.

- أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي، نزيل سلا ودفينها، حسب الحضرمي «السلسل العذب» كان ينسخ كتب الأحاديث، ويسفرها بيده.

- محمد بن الحسن السوسي باكتل، يقول عنه المشرفي في «نزهة الأبصار»: «له صناعة عجيبة في تجليد الكتب».

- محمد بن محمد الخياط أبي القاسم الدكالي المشنزائي بن إبراهيم الفاسي، ترجمته في «سلوة الأنفاس»، كان أحد أعلام فاس، وكان يرمم المخطوطات العتيقة، فمن بين مخطوطاته رحلة «تاج المفرق» للبلوي، كان قد رممها بعد أن تلاشت أوراقها، وذيلها بهذه الفقرة بخطه: «انتهى إصلاح هذه النسخة بعد تلاشيها واشرافها على التلف ضحوة العشرين لشعبان المبارك عام ثلاثة وستين ومئة وألف على يد عبد ربه... محمد بن إبراهيم الدكالي محتدا الفاسي منشأً ومولدًا» (١).

إن هذا القدر من التراجم الذي ذكرناه كاف لإعطائنا صورة عن أهمية هذه الصناعة في المجتمع المغربي والأندلسي.

الجلد المغربي الممتاز

اعتمدت صناعة التجليد في المغرب والأندلس على جلد الخروف والمعز، فكانت هي المادة الرئيسة لتجليد الكتب، وكانت كتب أغنياء المسلمين وغير المسلمين والملوك تجلد بشكل مميز. فكان يستعمل لها نوع خاص من الجلد، كالجلد المغربي الذي يعدّ من الأنواع الفاخرة. فقد تميز المغاربة منذ عهد بإجادة صناعته ودباغته، حتى إن الأوربيين أطلقوا عليه اسم la maroquinerie، وهي كلمة مشتقة من اسم المغرب. ومن المعروف أن المغرب كان على امتداد حقب تاريخية طويلة منتجًا عالميًا للجلد، فمن مدابغ فاس يرجع الفضل في تزويد العالم بالجلد المغربي، وفي عهد الإمبراطورية الموحدية كان يصدر من قرطبة (٢).

كرسي خاص للصناع القرويين

في العصور التي تلت، وبالضبط في العصر الوطاسي، كان في فاس - مدينة العلم والحضارة - كرسي خاص للصناع (٣) لتعليمهم الدراسات الدينية، ليرفع عن أنفسهم عار الجهالة بأمور الدنيا والدين، وكان من أصحاب هذا الكرسي، الفقيه الونشريسي قاضي فاس ومفتيها، وصاحب التدريس بالقرويين، المتوفى سنة ٩٥٥هـ. وكان المجلد سيدي مالك إمام المجلدين السابق الذكر، يحضر هذه الدروس هو وغيره من الصناع، وقد بشّره الفقيه ذات يوم، وأخبره أنه وجد منصوصًا بأن المجلد ملحق بالصدقة الجارية، وهو داخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صدقة جارية (الحديث).

المراجع

١. هؤلاء العلماء ذكرهم كذلك عبدالله كنون في «النبوغ المغربي» ومحمد المنوني في «تاريخ الوراقة المغربية».
٢. (تاريخ الكتاب) د. ألكسندر شتيبتفيتش، القسم الثاني - ص ١٣٧، عالم المعرفة.
٣. (الحضارة المغربية) الحسن السايح.

